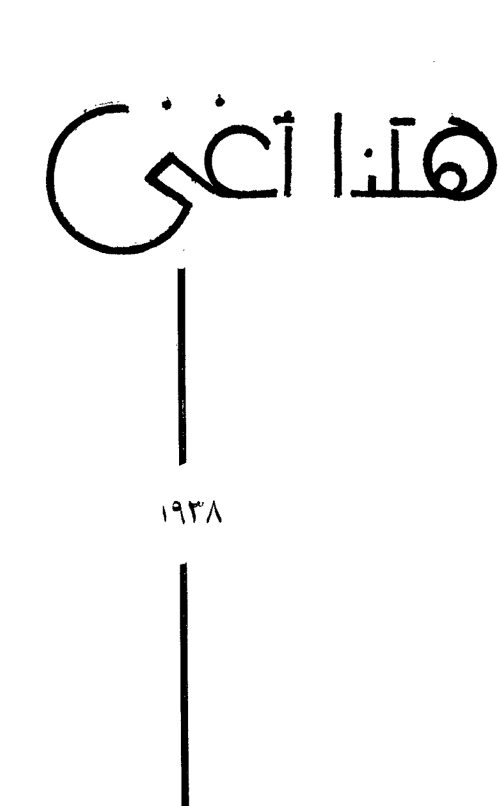
هكذا أغنّي

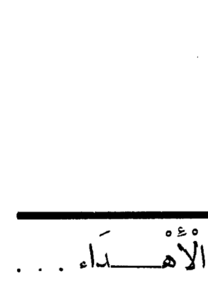
محمود حسن إسماعيل



محمود حسن إسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربِّ اشْرَحْ لى صَدْرى ،
ويسِّرْ لى أمرى ، واحْلُلْ
عُقدةً مِن لِسانى ، يَفقهوا
قَوْلى»



الإهـــداء . . .

مولاى :

«فاروقُ» نورُكَ أسْرَى بِى إلى فَلكٍ..
فى عالَم الْخُلْدِ... دانتْ لى منابرُهُ!

مُنْذُ انتشيْتُ بهِ، والشِّعْرُ معجزةٌ..
إلْهامُها منكَ قد فاضتْ زواخرُهُ!

سكبْتُهُ مِنْ دمى! فانسابَ فى وَتَرى..
وجلْجلتْ بفم الدُّنيـــا قياثرُهُ!

فاسمعْ بواديكَ لحنًا، راحَ من طَرَبٍ..
يَزْهى بتاجِكَ فوقَ الشمس شاعِرُهُ!

وثبْتَ بالجيـــلِ حتَّى اشْتدَّ ساعدُهُ..
وهبَّ يفترعُ الجـــوْزاءَ خاطرُهُ!

والشِّعْرُ كرَّمْتَ فى الآفاق وثبتَهُ..
فروَّعتْ شـــاطئَ الْوادى بشائرُهُ!

إنْ كانَ هذا وحظِّى فيهِ أوَّلَهُ..
ماذا يكونُ بظلِّ الْعرشِ آخرُهُ؟!

محمود حسن اسماعيل


من نور
فاروق

بين يدى المليك



« لقد نال الشعر شرف الانشاد بين يدى صاحب الجلالة المليك المعظم فى احتفال الجمعية الخيرية الاسلامية بدار الأوبرا الملكية مساء ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٧م فألقى الشاعر هذه القصيدة التى نالت الرضا العالى ، فأمر أعزه الله بدعوته إلى المقصورة الملكية وتفضل حفظه الله فصافحه بيده الطاهرة مبديا إعجابه السامى وتقديره الكريم »

نُوران . . نورُ هُدًى ، ونور تَبَسُّمِ
سطعا ، فراح الشعرُ يسْطَعُ من فَمى

فهتفتُ : يا دُنْيا الملائك طهِّرى
وَتَرى ، ومِنْ آيات وحْيك أَلْهِمى

هاتى لِىَ النَّغمَ الجديدَ ، بغيْرِه
ما اهتْزَّ للشعَراء سمْعُ الأنجُمِ

هاتى فإنَّ بعرش مصْرَ مُمَلَّكاً
تاجُ العصــورِ بمثْله لَمْ يَنعَم

أوفى.. فرحتُ إلى الخمائل هاتفاً:

هاتى الشذا من زهركِ المتبسِّمِ

فُضِّى لحونَ الطير من لهواتها

ومُرى أغانيهَا ترنُّ بمرقمى

ودعى الصَّباحَ ونورهُ، ودعى الضُّحى

وعبيرهُ ينسابُ طُهْراً فى دمى

إنِّى سأهتفُ للمليكِ بآية

بيْضاءَ مثْل جبينه المتوسِّمِ

موْلاىَ! فاهتزَّ الوُجودُ مهلِّلاً

طرباً، وإنْ لم يَشْدُ أو يتكلَّمِ

من رامَ تغريداً بظلكَ فليكُنْ

لبَلابلِ الخُلدِ السواجعِ يَنتمى

اللهُ أكبرُ! ماالسَمْعكَ هِزَّةٌ

بسِوَى حمامِ الجنَّةِ المترنِّمِ

* * *

« فاروقُ » حبُّكَ فى القلوبِ عقيدةٌ
أخذتْ سُراها فى القلوب مع الدّمِ
قَسَمَتْ مع الايمانِ قُدْسَ مكانِهِ
فى الروحِ ، وَهْوَ لغَيْرها لم يُقسَمِ
الشَّرْقُ يقرأُ فى جبينكَ آيةً
فَجْرُ الربيع بنُورها لم يُوسَمِ
النيِّلُ فسَّرها له مُتَخَايِلاً :
هَذِى منارةُ كُلِّ قلبٍ مُظْلمِ
فيها عزاءُ الشَّرْقِ عنْ آلامِهِ
ومُنَاهُ بعْدَ أسًى وطولِ تجهُّمِ
اللهُ سطَّرها لتَاريخِ الحمَى
بُشْرَى وُثُوبٍ للعُلاَ وتَقَدُّمِ !

* * *

يا عاهلَ الاسلامِ كرِّمْ عصرَهُ
وأنِرْ به حلَكَ الوُجود المُعْتمِ

أَلْقَتْ إليكَ يدُ الحنيفِ زمامهَا
فأَقَلْتَ عثْرَتها ، وقلتَ لها اسْلَمى !

وَبَعَثْتَ عهْدَ الراشدين بصَوْلَةٍ
شَرْعُ السماء بها حديدُ المِعْصَمِ

فرعَيْتَ عزَّ الصَّوْلجان ومجدَه
وخَطَرْتَ فى وَرَعِ النَّبِيِّ المُلْهَمِ

وحملْت مسْبحةً كأنَّ مَدارها
فَلَقُ الهُدَى للحـــائرِ المتبرِّمِ

حَبّاتُها فِلَذُ القلوب خواشِعاً
عطَّلنَ باللثمات آمالَ الفَمِ

نسَقٌ من المُلْكِ انفردتَ بعزِّه
لِسواكَ فى التاريخ لم يتقـــدَّم !

* * *

فى دَوْلةِ الإِحسان قامَتْ عُصبةٌ
للخيْرِ فى جَنَبات عرْشِكَ تحتمى

تأسو إذا جَرَحَ الزّمانُ ، وتنبرى
قَدَراً يُكفكف دمْعَةَ المتيتّمِ
كم ثاكلٍ ردّتْ فواجعَ قلبِها
نِعَماً ! وأسبغَتْ النعيمَ لأيّمِ
ستّارة الأعْراض يغْمُرُ جودُها
ليلَ الحرائر فى بياضِ الأنعُمِ
وترابُهـا للمعوزين غرائسٌ
للقُوت ، تُثمر فى خريف المُعْدِمِ
تُعطى ولا مَنٌّ يشوبُ عطاءها
وتجودُ جودَ العدْل للمتظلّمِ
مِنَنٌ تدبُّ إلى النفوس خفيّةً
يجرى بها قدَرُ الإله المُنعِمِ
فكأنها الأحلام تهبط فى الدُّجى
للبائسين بخَشْعة وتَحرُّم
شَرَفُ العطايا أن تُزَفَّ وحيدةً
كالسّر بين تخفُّرٍ وتحشُّم !

هى كعبةٌ - للبؤس من إحسانها
بِشْرُ النبات بغَيْثِه المترحِّمِ

للعلم فى أكنافها رِىٌّ النهَى
ولشَكْوةِ العلَّاتِ بُرْءُ المسْقَمِ

مَوْلاىَ .. أسْعِدها بنُورك إنها
بهُداك تفرعُ سابحاتِ الأنجمِ

هِمَمٌ سَبقن خُطَى الزمان بعزْمَةٍ
أوْقَدْتها سبْقَ القضاءِ المبْرَمِ

هتفتْ بك الدنيا فردَّ هتافها
شَعْبٌ يُفدِّى بالقلوبِ وبالدَّمِ !



لحن الزفاف

تغريدة في سماء عابدين



وهذه تغريدة الشاعر فى سماء عابدين بين يدى حضرة صاحب الجلالة مليك مصر المعظم (فاروق الأول) فى الحفلة الساهرة التى أقيمت بقصر عابدين الميمون ليلة ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨ ابتهاجا بالزفاف الملكى السعيد .

إجابة لرغبة سامية من جلالته أعز الله به دولة الأدب

شُدِّى المزاهرَ فى القُلوب . . ورَتِّلى
نغمَ السماء لعرْشكِ المتهلِّلِ
واستَلْهِمى طيْرَ الجنـــانِ غِناءَهُ
وصفاءَ ملعبِه بشطِّ الجَدْولِ

وإذا الخميلُ سَجَا ورفْرَفَ طيْرُه
هاتى منَ الْفردَوْس أرْخَمَ بُلبلِ
ودَعيه يصدَحْ المليك بآيةٍ
عُلْيا . . . لغَيْرِ جنانه لم تُرسَلِ
يا مصْرُ عرشُكِ فى المباهج رافلٌ
فردِى النعيمَ بشاطئيْه وأرْفُلى
حُورُ الفرادس ينتظرْن . . فأسْرعى
لصَباحِهنَّ وبشِّريهِ وَهَلِّلى
واستَوْقِفى ركْبَ المْلائكِ ، واهتِفى
للشَّمْسِ: هَلَّتْ شمْسُ «مِصرَ» فأقْبلِى
وتَزَوَّدى منْ طُهْرِها وَسَنائِها
زادَ الأشعةِ قَبْلَ أن تتنقَّلِى

* * *

«فاروقُ» نَجْمُكَ فى الْبَشَائر سابحٌ
فَقُدْ العصورَ بنُور مُلكِكَ واعتَلِ

واسكبْ على الأيام مما نلتَهُ
بِشراً يصفّقُ كالرَّحيق السلْسلِ
ذَهَبتْ تَسيرُ وراءَ عصركَ خُشَّعاً
تَقْتَاتُ مِنْهُ أمانىَ المستقبلِ
مَوْلاى دَعْها ترتَوِى مِنْ شاطئٍ
فى ظِل تاجكَ عَبْقرىٌّ المنهَلِ
أنتَ الأمانُ بها لكل مُحَيّرٍ
وبِشارةُ الدّنيا لكلّ مؤمِّلِ

* * *

« فاروقُ » حُبُّكَ آيةٌ عُلْويةٌ
نزلتْ منَ الْأرواحِ أقْدَسَ مَنْزِلِ
الله ألهمهَا لشعبكَ شِرْعةً
كالوَحْى يُلهَمُ للنبىِّ المرْسَلِ
حُشِدَتْ بساحتكَ الجيُوشُ بِمِثْلها
«رَمسيسُ» لم يَخطِرْ بأَعْظِمِ جَحْفلِ

فاهتزَّ أجنادُ الملائكِ فرحةً
وسرَوْا إليـك بحَيْرةٍ وتأمُّلِ :
لِمَ هذه الأَسْيافُ حَوْلك والظُّبَا
والله فوقَكَ حارِسٌ لم يَغْفُلِ ؟
هِيَ للحِمَى والعَرْشِ نصْر خالِد
لمحتْ بشائرَهُ عينُ الصَّيْقَلِ !

* * *

هتَفَ البشيرُ بيوْمِ عُرْسكَ .. فانبرَتْ
زُهْرُ الـكواكبِ فى بُرُوجك تَجْتلى
وأطلَّتْ الأهرامُ تشهَدُ موْكباً
« خوفو » يمثل علاهُ لمْ يتنقَّلِ
أرْواحُ شعبِكَ حائمـاتٌ فوْقهُ
ينْهلنَ ساكبَ طهْرِهِ المتسلسِلِ
خَشَعتْ كماخشَعَ الحمامُ ، ورتلَتْ
دعَواتها كبغُـامِهِ المترسِّلِ

وأتتكَ ضافيةَ الحنـــانِ كأنَّها
أسرابُ طيرٍ يستبقنَ لجدوَلِ
فروَيْتَ غُلَّتها ، وكنْتَ لِقلْبها
بُشْرَى المنى لليائس المتعَللِ

* * *

يا فرْحَةَ الأوطان طُفْ بزَمانها
بُرْءاً يطوِّفُ بالسَّقامِ المعضِلِ
رُدَّ الأسى عنها كما رَدَّ السَّنا
فى الفجر غاشيةَ الظلام المسبَلِ
وانشرْ هُداكَ على مَفارقها كما
نشرَ السنا فلَقُ الصَّباح المنَجلى
وأعِدْ لها التاريخ أصيدَ شامخاً
يُزْهى بتاجكَ فى الزَّمان المقبلِ
أنتَ المنارَةُ فى دُجَى أيامها
والغَوْثُ عنـدَ الحادث المتبدِّل !

زَفَّتْ إليكَ الحورُ أطهرَ ما برَتْ
في خُلدها كَفُّ الأله المُفضِلِ
طُهرُ الملائك نشَّرَتهُ هَالةً
شمسُ الربيعِ بنُورها لم تنجلي
الخُلدُ عطَّرَها بأطيَبِ زَهرَةٍ
نبتتْ لدَيه بِشطٍّ أعذبِ منهلِ
والفجرُ زَفَّ لهـا عرائسَ حُلْمهِ
يَخْطرْنَ بَينَ تبسُّم وتهلُّلِ
والتاجُ ظلَّلَها بأرْوع مَوْكبٍ
بَهِجٍ ، بعزِّ الصوْلجانِ مسَرْبلِ
فأتتكَ مُشْرقةَ الجلالِ كأنها
تهْليلةُ الفرْدَوس للمُتبتِّلِ
نصْرٌ يُزَفُّ ! وفَرحَة أبَدِيَّة
تهْتزُّ حوْلَ رِكابِكَ المتنقِّلِ

* * *

« فاروقُ » ليلتُكَ الخلودُ فقلْ لها :

زُفِّى الخلودَ الى الحمى وتهلَّلى

كادَتْ لهاَ الأفلاكُ تحشُدُ موكبا

وتسيرُ خَلْفَ رِكابكَ المتهلِّلِ

بيضاء أترعْت النعيم بظلِّها

ونسخْتَها للدهْر أقدَسَ مِشعلِ

سَجَدَ الزمانُ لهـا ، وأقسمَ خاشعاً

باللهِ يا بيضاءُ لا تتعجَّلى

طَالَ انتظارىَ منْ عوالِم « آدَمٍ »

لِأرَاكِ : فانتظمى النُّجومَ ، وأقبلى

وتخطَّرِى .. فبِمثْلِ نورِكِ مازَهتْ

أعرَاسُ « قيصرَ » فى الزمانِ الأوَّلِ

يا عاهلَ الشرْق اصطفاكَ زمانُهُ

لتكون الاسلاَم أكرمَ مَوْئلِ

لكَ فى بُيوتِ اللهِ أرْوَعُ سَجْدةٍ

سطعَتْ قداستها بريح الصنْدَلِ

مَشَتْ الخـلافةُ نحو عرشِكَ تبتغى

للشرْق والاسلام كلُّ مُؤمَّلِ

مولاىَ ! قُدْها فى حمـاكَ الى ذُرَا

عَصرٍ بسيفِ الراشدين مُظَلَّلِ

واسمعْ نشيدَ الرُّوح من مُترَنِّمٍ

طيْرُ الخلود بسحْره لم يَهدِلِ

أشجاكَ تغريدى . . فهاكَ ملاحنى

هتفَتْ بوحْىٍ من سنَاكِ منزَّلِ

للشاعرينَ بلاَغةٌ فضفَاضةٌ

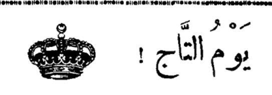
حُشدَتْ بلفْظٍ فى الحلُوقِ مجلْجِلِ

وأنا الذى شِعْرى نُفاثةُ مُهجتى

سُكبَتْ جدَاولها بهمْسِ السُّنبلِ

يوْمَ الفخارِ سنلْتَقى..أَنتَ العُلاَ !

وأنا الصدَّى فى ظِلِّ عرْشِكِ ! فاصْغَ لى !



يَوْمُ التَّاجِ !

شادِيكَ مِنْ قَصَبِ الفِرادِسِ نايُهُ
ومِنَ السَّنا والطِّيبِ عُلَّ غِناؤُهُ

ومِنَ الصَّبا نَهلتْ ظِلالَ أَراكَةٍ
سَجْواءَ ، نافِجُها غَفتْ أنداؤُهُ

ومِنَ الطَّفاوةِ في أَصيلٍ خاشعٍ
سجدتْ على زهَرِ الرُّبا أضواؤُهُ

ومن الأغاني البِيضِ رَنَّمَ لحنَها
مَلَكٌ ترقرَقَ في النُّجومِ دعاؤُهُ

ومِنَ المساجِدِ هيْنَمتْ تحتَ الدُّجى
صُوفِيُّها نَهَلَ الغُيوبَ صفاؤُهُ

ومِنَ الشُّعاعِ المستهامِ بِقُبلةٍ
في النيلِ طهَّرها هَواهُ وماؤُهُ

ومنَ السَّنا الرقراق فى قَدَحِ الضُّحَى
أغْرَى النـدَيم فولَولَتْ صَهباؤُهُ
ومنَ الطَّلاسِمِ قد زَوَى أرصادَها
هرَمٌ أشابَ الخـالدينَ فتاؤُهُ
ومنَ الهُدَى فى ظلٍّ عرشكَ خَلْقُهُ
أقباسَ وَحْيٍ هلَّ منـكَ سناؤُهُ
سَجداتُ وجهٍ مُشرقٍ نضحَ التقى
فى كلِّ مالمَحتْ به سيماؤُهُ
لوْ راءَهُ عاتى المجُوس تخشَّعَتْ
للنَّار منْ غيِّ النُّهى أعضاؤُهُ؛
لانْحازَ فى رَكبِ النبي ، ونارُهُ
نورٌ تدفقَ فى الصلاة ضِياؤُهُ
ومنَ الهوى أوْراه حبُّـكَ جاحماً
أشهَى من النَّسَم الرَّطيب صِلاؤُهُ
يَسْرى لظاهُ بكلِّ مَسْبحِ ذرَّةٍ
فيَـكادُ يُشعَلُ منْ هَواكَ فضاؤُهُ

أنَّى حللْتَ نسخْتَ ترْبكَ معبداً
تَخضَلُ من عَبَق المنى أَرْجاؤُهُ
وَقفَ المغَنِّى فى حِماكَ مجَلْجلاً
باللحن تخفُقُ فى الورَى أصْداؤُهُ
فيه من الأقْدار وَهْــلَةٌ غيْبها
خبأتْهُ عن لمعْ الحِجا أطْواؤُهُ
ومنَ الكتائب أرزَمتْ أسَلاتُها
صخَبٌ يزَمجرُ بالفتوحِ نداؤُهُ
ومنَ المواكبِ هوْلَها فى فَيْلق
نَشْوانُ فى يَوْمِ الفَخار لواؤُهُ
ومن الجِنان الفيح همسُ طلالها
ريَّا النِّثار على الرُّبى يَيضاؤُهُ
رَجزٌ بأرغُولَ الزَّمان شدا بهِ
لما خطرْتِ صَباحهُ ومَساؤُهُ
حتى إذا دَوَّى بيوْمكَ هاتفٌ
أسْنَى الليالِى بالمُنَى بُشَراؤُهُ

وانهلّ من جنبات عرشك سيّكب
طهرٌ يموج على الحمى لألاؤه

وأذعت من حجرات ملكك في الضحى
قسماً أعزّ النيل منك ولاؤه

فصف المغنّي عوده ومضى الصّدى
خجلان ينتهب الأثير حياؤه

يصغي! ويرغن خاشعاً! ويكاد من
ندم تردّ له اللحون جواؤه

أنشودة «الفاروق» هلّل شدوها
ماذا سينشد بعدها شعراؤه . !

هي في فم الدنيا حديث خالدٌ
حدّرته من شفة الغيوب سماؤه

الله طهّره وسلسل نبره
جاماً يعلّ بقدسه ندماؤه

أوراد نسّاك ، وجرس مآذن
تكبيرها عمر القلوب دعاؤه

وحَفيفُ أدْعيةٍ ، وهَمسُ ملائكٍ
بالوَحْى يلْهِمُ غيْبَهُ رُسَلاؤهُ
دعْنى من الأشْعار مهْما سقْتها
إعجازَ جنٍّ زمزمتْ أفناؤهُ(١)
منْ كان هذا الطهرُ فيْضَ لِسانِهِ
فالشِّعْرُ فيه أعاجِمٌ أمراؤهُ !

* * *

أوْفَى عَلى الشطِّ الظليل بزَنْبقٍ
خَضِل النسَائم برَّةٍ أفياؤهُ
ينْسَابُ كالإيمان وَشَّعَ سترهُ
نورٌ يَشُفُّ سنَا العُيون بهاؤهُ
مُتَخَشعٌ للهِ فى نظرَاتِهِ
تَسْبيحُ صَمْتٍ زَانَهُ إغضَاؤهُ
واصَوْلَةِ التيجَان فى قَسَمَاتِه
معْنًى يفسِّرُ كُنهَهُ إيماؤهُ

(١) جمع فن، وهو جماعة الجن

مَلِكٌ أهلَّ على الحِمَى فارتجّ مِن
طرَبٍ ، وَكَبّرَ روْعةً أحياؤهُ

شقّ الضحَى بركابهِ فكأنّهُ
(رمْسيسُ) تزأرُ فى الضحَى هَيْجاؤهُ

بعُرَامِ قَسْطَلَةٍ وَضجّةِ فاتحٍ
أذكَى حماسَ الهالكينَ لقاؤهُ

وَكأنما فُرْسَانَ (طيبةَ) جَلجلَتْ
فى ساحِهِمْ — من فرحةٍ — أنباؤهُ

فتقلّدوا أرماحهُمْ قِسِيّهُمْ
وَمضوْا ليومٍ أرجفَتْ غبْراؤهُ

شقّوا غبَارَ الدّهرَ من أرماسِهِمْ
وَسَبتْهُمْ ـ فتخطّروا ـ خُيَلاؤهُ

شدَهتْهُمُ تلكَ الحمائلُ والظُّبَا
غرٌّ السلاحِ عَلى الأكُفِّ وِضاؤهُ

نشْوَى عَلى الأجيادِ طرّبَ سمعَها
قصْفُ المدافعِ زُلزِلتْ أرْجَاؤهُ

وَشدَا لها فى الجوّ لحْناً صاخباً
فَلكٌ من الفولاذ ضجّ فِناؤهُ

سِرْبُ النسورِ السابحَاتِ خِضَمَّهَا
ذَرُّ الأثيرِ تلاطمَتْ أرجاؤهُ

نظرُوا الى تلكَ المواكبِ جيَّشَتْ
حشْداً من الأروَاحِ ضَاقَ خَلاَؤهُ

أُمَمٌ ! وَأَجيال ! وَدُنيـــاَ كلُّهَا
رَصَدٌ لسَارٍ لا يُمَلُّ رُواؤهُ

سَدِكتْ[1] به الأبصارُ حتى لو ثنَتْ
إنسانَها لارْتدّ فيهِ عماؤه

وَلو أنَّ أَفواهَ الخلائق هادَنتْ
خفْقَ اللسان لَمارَ فيهِ هُذاؤهُ

ورَأوْا بيَارقَ رفرفتْ مخضُوبَةً
بدم الفخَارِ زها بهِ شُهَداؤهُ

---

(١) علقت به بشدة ولازمته

خِيلتْ كتابَ المجْدَ نُشِّرَ للورَى
رُقِمتْ هلالاً مشْرِقاً طُغرَاؤُهُ

فتساءَلوا : ما النِّيلُ ؟ ما أَفراحُهُ ؟
ما يومُهُ ؟ هلْ كُشِّفت بُرَحاؤهُ ؟

ستِّين عاماً فى القيودِ مصفَّداً
يجْرى وَيصرُخ فى الشطوطِ ظماؤهُ

هيّا إلى كُهَّانِ (مَنْفَ) لعلهم
كَشفَوا الذى أعْيا العقولَ خفَاؤهُ :

وَإذا (بخوفو) فَضَّ أخْتامَ البِلَى
وَالسرَّ لم يَعثُرْ به حكمَاؤهُ

هذا هوَ الملكُ الذى بيمينه
وَجبينِهِ أملُ الحمَى ورجاؤهُ

عرْشٌ يُحاكُ الفجْرُ من هالاتِه
فيَروحُ ينتضِحُ السَّنا إمساؤهُ

لا المُلْكُ فى أبراج (تَدْمُر) حازه
يوماً ! وَلا حَظِيَتْ به (زَهْراؤهُ)

الشرقُ ، وَالوادى الأَبِىُّ ، وشعْبهُ
والنيلُ ، والهرَمُ العتيدُ . . فِداؤُهُ
حَضَنَ (الحنيفةَ) فى حِماهِ وَصانها . .
أقسَمْتُ يا (قُرآنُ) منكَ ضِياؤهُ
خَشعَ الحَمامُ(١) على وَشائع خَزِّه
يا قُدْسَ من خَشَعَتْ له وَرْقاؤهُ !
أَوْدَى (سُلَيْمَانٌ) فصار بُغامُهُ
نَوْحاً ! وجئتَ فَلَذَّ فيكَ غناؤهُ
من عَهدِهِ هَجَرَ العِشاشَ مشرَّداً
حتى رآكَ فأُسْبِغتْ نَعْماؤهُ
حوَمٌ على « عَبْدِينَ » قُدِّسَ جَوُّه
وَعلى خُطاكَ تَخشَّعتْ أَبهاؤهُ
للطَّيْرِ آنائِهِ يُحرَّمُ صَيْدُهُ
فيها . وطَيْرُكَ خُلِّدَت آناؤهُ

(١) إشـــارة الى حمامة الموكب التى لاذت بالعربة الملكية فى مهرجان التتويج آمنة مطمئنة كأنها من حمام سليمان عليه السلام .

لمّا رَأى قُدْسَ النبيّ وَطُهْرَهُ
في وَجْهِكَ الميْمون طابَ ثواؤهُ
فجثا وَكَبَّرَ في ذَرَاكَ مُرَنِّماً :
مِلِكُ الوَرَى والطَّيرُ عزَّ عَلاؤهُ

* * *

مولايَ ! إن ترَنُّمي سِحْرُ النهى
فاطْرِب ! فمنكَ خياله وَبهاؤهُ
يا ليتَني مثلُ الحمامِ بظلّكم
شادٍ يَرِفُّ مِنَ الخلودِ هواؤهُ
حتَّى أُرَقْرِقَ في النَّعيم مَلاحني
وأُذيعَ إعْجازًا خَبَتْ أصْدَاؤهُ !

عرشٌ يتهادى على النيل

« أهل نور « الفاروق » على مروج الصعيد يوم خف ركابه العالى على النيل فى رحلته الميمونة عام ١٩٣٦ م . فكان وحيا لهذا النشيد » .

مَنْ أنطقَ النيلَ بسحر البيانْ … فظلَّ يشدو بين تلك الجنانْ !

يُزجى الترانيم .. فتُشْجى الصبا … وينتشى من كأسها الشاطئانْ

وترقُص الأدواحُ فى مَرجه … سكرَى تحيِّى بالغصون اللِّدَانْ

يَنهلنَ فى الأسحار جام الندَى … وفى الضحى يخطرْنَ بالأرْجُوان

عرائسُ الفردَوس مَخْدورةٌ … وهُنَّ سِحْرٌ سافرٌ للعِيَانْ

إذا سَواجى الريح مرَّت بها … تهزج بين الطَّلْح والسِّنْدِيانْ

وساجعات الريف زفَّت لها … نواعِمَ اللحن من السِّيْسَبانْ

فقُل « لداود » ومزمارهِ : … هذا هوَ التسبيحُ يا عابِدَان

وموجُه فوق الثرَى شاعر … ألحانُه عن خافقى ترْجمان

وقفتُ فى الشاطىء أهفو له … مُطَيَّر الحِسِّ . طروبَ الجَنان

أَشْدُو اوَ يشدو . والضُحَى سامع كأننا في أيْكه بُلْبُلاَن
تطارَحا نجوى الهوى فرحةً فرُتِّلَتْ في صمْتَه آيتانْ
وإذْ بِلاحٍ هتوف الصدَى يُومى بخفْقَ الرُّوح لا بالبنانْ
العرْشُ جلاَّهُ ركابُ الضحى فكبِّرا للنُّور يا شاعرانْ
فخرَّت الأمواج قدِّيسةً جاثيةً في الرمل فَرْط الحنانْ
ورُحْتُ من روْع السَّناخاشعا كأَنّنا في مسجدٍ ناسكانْ
ندعو وتدعو مِصْرُ من خلفِنا والنيلُ ، والاهرامُ ، والمشرقانْ
رَعتكَ يا «فاروق» عينُ السَّما وعِصْمَةُ الله .. فسِرْ في أمانَ !!

* * *

فسار والشمسُ جَلالاً له تخضبُ راحَ النيل بالزعْفرانْ
وتُلبِس النَّوْرَ بُرودَ السنا روْعاءَ لم تَنسجْ حُلاَها يَدانْ
والنخلُ لمّا شعّ في ظِلّه لمحٌ سَرَى من نوره إضْحيانْ
ريعَ .. ولو يسْطيع مدَّ الخطا لزاحمَ النيلَ له موْكبانْ
وسارَ خلف الركب من فرحةٍ أغرتْ به فُرْقَة هذى الجِنانْ

يشْرَعُ من أغصُنه رايةً ... ومِن أواسى الجذَع حَدَّ السِّنانْ
ويغتدى جيشاً يهزُّ الورَى ... يحرُس عزَّ المُلْك والصَّوْلجانْ!

* * *

جبابرُ الاهرامُ خفُّوا له ... جنداً صُفاةَ الدِّرْع والطيْلسان
لم تُغنِهم روْعة تيجانهم ... فوُشِّحُوا بالطَّل والأقحوَانْ
وأقبلوا فى موْكبٍ حاشِدٍ ... «خوفو» و«رمسيس» له قائدانْ
كأنهُمْ منْ فرحةَ الملتقى ... قد عجلوا للبعث قبل الأوانْ!
و(طيبةٌ) سارَتْ بتاريخها ... تَختال فوق النيل فى مِهرَجانْ
يَصْدحُ «بنتاءور» فى رَكبها ... مُجلجلاً يَرْهبه الخافقانْ
دَوَّى بفرعَوْنَ قديماً فما ... أَبقَى لشادٍ فى الأوالى بيانْ
وعادَ للنيـــل بقيْثارة ... محطومةٍ جفتْ عليها اليدانْ
وحين شامَ العرش فى لجِّه ... والطيرُ والناسُ له هاتِفانْ
وطَلعة «الفاروق» تندَى سناً ... يغارُ من بهجته الفرْقدانْ
هلَّتْ على آثارهم فى البلى ... فأشرقتْ للعينْ ريَّا الدهانْ
ولو هفَتْ مرَّاً لتابوتهم ... وخاطبتْهُ: كن حياةً! لكانْ..
فعاوَدَ القيثارَ . توحى الصَّدَى ... معربِدَا يُسكِرُ بنتَ الدنانْ

وراحَ يلقْى سِحرَهُ للوَرَى يصغى إليْه كل إنْس وجانْ . .
عرْسٌ لفاروق أتَى يومُه وكان صمتاً منْ قديم الزمانْ

* * *

«فاروق» احيَّاكَ شبابُ الحمى وعشتَ فخرَ الشرق فى كلِّ آنْ !
وافاكَ عفَّا من حمَى عبقَر - يكاد يسْرى بصداه الأذانْ -
شِعرى من الأحشاءِ يجرى دماً وشعرُ غيرى من حواشي اللسانْ
ما كلُّ من غنَّ ! فشتانَ ما لحنٌ من الله ، و نقرُ البنانْ !

مِيلادُ الفارُوق

بُلْبُلٌ منْ عرائشِ الخلْدِ طائرْ
غمَرَ الكوْنَ سجْعُهُ بالْبشائرْ
طهّرتْ لحنَهُ السماءُ ، وَقالتْ
لطيورِ الجنان : هاتِى القيائرْ
وَالْبسى منْ ضُحاكِ أجْنحةَ النّو
رِ ، وفُضّى عبيرَهُ فى الحناجرْ
قدجعلتُ الأمانَ مسْراكِ ، فامْضى
فِى سلامٍ ، رعتك عيْنُ المقادِرْ
وانْشُدى فى مسابحِ الكوْنِ عرْشاً
لمْ تحزْ مثلهُ بروجُ القياصرْ
وَإذا ما لمحتِ سدّتهُ العلْ
يا ، وناداتك من حماهُ المفاخرْ

فاهبطى فى ظلاله ، وتغنّى
وانهلى العطرَ من جيوب الأزاهرْ
واسكبى الشعرَ من لهاتكَ سحراً
لم تلقّنْهُ قدرتى أىَّ ساحرْ !

* * *

فانبرى الطائرُ البشيرُ إلى الأرْ
ضِ يُباهى بسربهِ كل عابرْ
سألتهُ النجومُ : أيانَ تمضى ؟
وإلى أىِّ جنةٍ أنتَ طائرْ ؟
عشُّكَ الخلدُ ! والملائكُ فيهِ
منْ أغانيكَ راقصاتٌ سواكرْ
فعلامَ انتهجتَ سيرَكَ للأرْ
ضِ ، وخلّفتَ عشّك اليومَ حائرْ ؟
قالَ : كُفِّى الملامَ ! إنى بشيرٌ
بصباحٍ للشرقِ أبيضَ زاهرْ

فَدَعيني أَزُفُّ بُشرى هِيَ النُّو
رُ تهادَى شُعَاعُهُ للنوَاظرْ

جَنَّةُ النيلِ أَسْعدَتها يدُ اللهِ —
— بيَومٍ كضحْوة الخلْدِ سافِرْ

عَبقريِّ الضياء تعشَى بهِ الشمْ
سُ وَيرتدُّ طرْفُها عنهُ حاسِرْ

شدهَ الغيبَ فاستسرَّ لنجوا
هُ ، وراع النهَى ، وَهاجَ السرائرْ

سَجَدَت خلفهُ العُصور جلالاً
كلُّ ماضٍ ، وكلُّ آتٍ وحَاضرْ

والمحاريبُ كَبَّرَت ، وَتنادَت
بجلالِ الأَذَان بيضُ المنائرْ

وَالهدَى فى مَسَاجدِ الله أضحَى
يسكبُ البشرَ فى حوَاشى المنابرْ

والفراعين أوْشكوا حينَ شقَّتْ
مَوْجة النِّور خطْوَها فِى المقابرْ :

فى هُدُوءِ البِلَى يقيمونَ عُرساً
لم يُقِمهُ فى الأرْض أبهجُ سامرْ
عاجَلوا البعثَ واستطارُوا من الفر
حَةِ سارين فى الرُّبَى والمخاضِرْ
وشَحُوا النخْـــل بالضياء ، وشدُّوا
من خيوط الأنسام قلبَ المزاهر
وَمَضَوْا يهزِجُونَ ، وَالفجْرُ صاحٍ
وَحمامُ الرَّبيع نَشوانُ ذاكِر
وَعلَى سُنْبل الحقُولِ صلاة
ذَابَ فى صمتها صَفير القنابِرْ
وَالسوَّاقى مُزغرداتٌ ولكن
بعد ، طال نوحُها فى المقابرْ
شابَ فِى مرْجها الأنين ، فردَّتْ
هُ خُلوداً منَ الأغانِى السوَّاحرْ
فرحةٌ هزَّتْ الليالى ، وَساقت
بعد يأس الزّمان دُنيا بشائر

سألتْ (طِيبةُ) النجومَ عليها :
أيُّ ركبٍ إلى حمى النيل سائرْ !
فأجابَتْ : ميلادُ « فَاروق » أوْفَى
فانقضى خَلْةَ الملُوكِ الغوابرْ
واستَعيدى عُلاكِ ، وازهىْ على الدُّنْـ
ـيا وتيهِى على جميع الحواضِرْ
بشِّرِى الجيلَ بالمُنَى ، فهْى لَمْحٌ
مِن جَبِينِ المَوْلود يمحو الدَّياجرْ
ملِكٌ زفَّ للعوالم عَصراً
ما لأعْيادِهِ مَدَى الدهرِ آخِرْ
خَطْوهُ رحمةٌ ، ولُقْياهُ سَعدٌ
يَعْقد اليُمْنَ للجُدُودِ العَوَاثِرْ
حمَل السيْفَ قائداً ، وحَمَى الدِّيـ
ـنَ إماماً يَصُونُ قُدْسَ الشعائر
قَبَسَ الناسكون من وجهه النُّو
رَ ، ومن طُهْرِهِ عَبيرَ المجامِرْ

حُبُهُ أشعَلَ الشبابَ فأضْحَى
طَيْفه بالْجلالِ يذكى المشاعرْ
أوقَدُو الروحَ فى الْمشَاعلِ[1] نوراً
حوّمَتْ فوقه النفوس الطواهر
زيتُها كانَ مِن دماهم ، وكانت
حَرَكَاتُ الْفتَيل خفْقَ السرائر
وَأقامُوا بظلِّ تاجكَ عُرساً
نَقَلَت عِطرَهُ طُيُوبُ المَباخر
وأَذَاعُوا النشيدَ تحسَبُ فيه
شُعَلاً مِن صُدُورهم يتطاير
قسماً بالذى رعَاكَ لتَحْمِى
(مصرَ) من سطْوة الليالى الجوائر ؛
ما زَهَا فاتحٌ ! ولا اهتز عَرش
لملوكِ الورى بتلكَ المفاخر !

---

(١) إشارة إلى مهرجان المشاعل الذى أقامه شباب الجامعة المصرية فى ساحة عابدين ليلة ميلاد الفاروق .

إيهِ مولايَ ! واستمع لنشيد
سحْرُهُ أوْقَفَ الطُّيورَ الْعَوابِرْ
قدَّسَت لحنَهُ بِسَمعك (عبدِيـ
ـنُ) فأَسرَى إلى الخلودِ وهاجَرْ
نُورُ عيناكَ جـدولٌ عَبْقرِيٌّ
في جنانى مِنْ زَحْمة الوَحْيِ ثائِر
تأْكل الحاسدين نار التجنِّى
وأنا من رحيقهِ العذبِ ساكرْ
قسماً ما شَدَوتُ شعراً . . وَلـكن
سقتُ للعرش ـ فاديًا ـ قلبَ شاعِرْ !



« الْفارُوقُ » فى بيْت الله ! !

أَوْفَى إلَى بَيْتِ الإلٰهِ ! كَأَنهُ وَحْيُ الإلٰهْ

وكأنَّهُ الايمانُ أَشْرَقَ نُورُهُ ، وَصَفَا سَنَاهْ

وكأنَّهُ الإلْهـامُ تَسْطَعُ بالْقَداسَةِ صفْحَتَاهْ..

مَلِكٌ تَـكادُ لِنُورِهِ — مِنْ رَهْبةٍ — تعنُو الْجِباهْ

سَمِعَ الأذَانَ فَراحَ يَخْفُقُ فى جَوانِحِهِ صَدَاهْ

وَسَرَى فظَلَّ لِرَكْبِهِ الْهادِى يُكبِّرُ مَنْ رَآهْ

لاصَوْلَةُ التِّيجَانِ رَدَّتْهُ وَلا وَقفَتْ خُطاهْ

طَفَرَتْ إلَى المِحْرَاب لَوْعَتُهُ وَقَرَّ بِهِ هَوَاهْ

فَجَثا الَّذى تَجْثو لِهيْبَتِهِ وَتَهتَزُّ الْحَيَاهْ

زَكَتِ الْمَباخِرُ مِنْ نَوافِحِهِ وَضاعَتْ مِنْ شَذاهْ

وَالْمِنْبرُ الْقُدُسِيُّ مَالَ وَراحَ يَقبِسُ مِنْ هُداهْ

وَمَسَابِحُ النُّسَّاكِ قالتْ حِينَ كَبَّرَ للصَّلاهْ :

قِفْ يا « أميرَ المؤْمِنينَ ! » فأنْتَ للاسْلام جاهْ

الشَّرْقُ يَلْمَحُ فيكَ عِزَّتَهُ فَأَبْلِغْهُ مُنَاهْ

والدِّينُ ماتَ ! فَأَحْيِهِ بِهُدَاكَ ! احَيَّاكَ الإلٰه ! !


مِنْ نَارِ المُعْتَرَكِ

راهبُ العربْ

« ألقيت فى أحد المؤتمرات الوطنية التى عقدها الشباب فى (مصر) احتجاجا على تصريح المستر هور وزير خارجية انجلترا إبان ثورة سنة ١٩٣٥م ».

هاجَها مِزْهرى وقد خنَق القيْدُ — أناشــــيدَهُ فضجَّ وثارا

وهْىَ حيْرَى تُطِلُّ لَهفَى على النيل — وترنُو لمتْعَبِـينَ حيَارى

مُنْذُ خمسْينَ .. لم تحرِّكْ اليهمْ قَدَماً ، أوْ تُطِقْ إليهمْ مَزارا

درجَتْ فى السِّنين من عهْد «خوفو» حُرَّةً ما وَعَتْ لديْها إسَارَا

عقدَتْ تاجَها على الشَّمْس كِبْراً
أنْ يُحَلَّى جواهراً ونُضارا
وَبنَتْ عرْشَها على مفرِق الأهْرا
مِ زهْواً بمجْدِها وافْتخارا
وَجرَى النيلُ ساجداً بيْنَ كفَّيْ
ها جَلالاً وروْعةً وصغَارا
ثمَّ دارَ الزّمانُ دوْرَةَ نَحس
فإذا حظُّها مع النحْسِ دارا . . !
وإذَا رَاهبٌ أتاها مِنَ الغرَ
ب تقيٌّ يَرومُ منها الجِوَارا
قال : إنجيلىَ السلامُ ! فقالتْ :
مَرْحَباً بالسَّلام خِلاًّ وَجارا
أنا رَيْحانةُ الغريب ، وكَهْفٌ
للّذى عزَّهُ الحِمَى فاستَجارا
نيلىَ الخمر . . ذُقْ طلاهُ ، وقُلْ لى :
أينَ خَفَّ الجَنانُ مِنكَ فطارا ؟

سَلْسَلٌ يُلهِمُ الهدَى للذى ضَلَّ
— وإنْ كان فاجِراً كفَّارا
وجِنانى منَضَّراتٌ حوَال
حالماتٌ تُروِّعُ الأفكارا
جوْسَقٌ فى خلالها تَرْقصُ الرو-
حَ صفاءً ، وتُسْكِرُ الأعمارا
كانتْ الطَّيرُ سُكَّتاً . . فتهادَتْ
فى سمائى ، فهاجتْ الأطْيارا
فاذا ما المسَاءُ عطَّلَ فَاهَا
نقَرَتْ فى الصَّباح دُفًّا وطارا . .
أنا فى الشرْقِ هالةٌ لوْ رآها
فاقدُ اللَّمْح فجَّرَ الأنوارا
أنْطقَتْ «بتْنَوورَ» فى صمْتِهِ الدَّهْـ
ـرِ فغنَّى وخلَّدَ الأشْعارا
أنا دْيرُ الجمالِ يا راهبَ الغرْ-
-بِ فهيِّجْ بساحَتى المِزْمارا

جُس رِحابى، وطُف حوالَىَّ، واخْشَع،

وادعُ ما شئتَ جَهرةً وسِرارا

إنَّ للَضيفِ فى حِمَاى — وإن ذلَّ

[م] حِماهُ — مَعزَّةً، وَوَقارا . . .

فشَجَى الراهِبَ المقنَّعَ ما قا

لتْ ، وألْقى عَنْ جانبيْه العِذَارا

وسَرَى فى الدِّيار تَصْحَبهُ الفتْ

ـكَةُ أنَّى مشَى وأيَّانَ سارا

ساطِياً فى الخفاءِ آناً ، وآناً

يَخْتِلُ النَّاسَ لا يُبالى جهارا

أطْمَعَتهُ غَضاضةُ القَوْم حتَّى

ظنَّهُمْ — ضَلَّةً — لدَيْه أسارى

فبدَا بينَهُمْ هِزَبْراً إذا ما

صاحَ خلْفَ القَطيع وَلّى فِرارا

كلَّما ضجَّ منهمُ قلبُ حُرٍّ

أتْرَعَ الكأسَ من دِماهُ عُقارا

وقَّحَت طبْعَه القذائفُ تُلْقَى
لم يَرُعَها الردَى ، ولم تَخْشَ ثارا

تسفِكُ الرُّوحَ باللظى ! وهى ثَمْلَى
رَاوِيَاتٌ من الدماء سُكارَى

علَّمتْه السَّفاهَ فى مَنْطقِ الحقِّ
— فأخزَتْ حَيَاءَهُ المستْعارا

قالَهَا « هُورُ » كِلْمَةً ساقها البَطشُ
— فجرَّتْ على حِمَى النِّيل عارا

كم أَسَتْ أنفُساً ! وأفنَتْ ضَحايَا
فى صدَاهَا ! وجَرَّحَتْ أحْرارا !

أيقظتْ (مصْرَ) من سُبَاتٍ لَوَانِ الصَّ
ـخْرَ فيهِ لما أطاقَ الفِرارا

فرنَتْ نحوَ ضيفِها عَلَّ عتْباً
يرْعوى منهُ أو يَسُوق اعتِذارا

فإذا بالمسُوح شَعْرَاتُ ذئبٍ
خَشِيَ السَّطوَ جَهْرَة فتوارَى !

وإذا الدَّيرُ فَوْرةٌ مِنْ دماءٍ
تتلظَّى فتُفْزِعُ الأقْدارا ؟

وإذا بالَّتى شَجاهَا نَشيدى
ومَرَى جَفْنُها الدُّموعَ الغِزارا ،

هىَ (مصرُ) التى أَثارَ شَجاها
أنْ تُطيقَ القُلوبُ عنها اصْطبارا

كَبَّلوها بكلِّ قيْدٍ أثيمٍ
عاقَها أنْ تجُوسَ تِلكَ الديارا

سَألتهُمْ : علامَ أسْرى ؟ فصَمُّوا
وأصَرُّوا واسْتكبَروا استِكبارا !

* * *

فابْعثوها تُصِمُّ سمعَ اللَّيالى
ثوْرةً تُضرِمُ السِّما كَيْنِ نارا

ماتَ عهْدُ الكلام ! فلنَجْعل الثَّوْ —
رةَ والموْتَ للجِهادِ شِعارا !!

على مذبح الحرية

« ألقيت فى احتفال الأمة المصرية بذكرى
شهيد « دار العلوم » فى ثورة ١٩٣٥م وهى
استيحاء موكب من مواكب الشهداء شق
القاهرة وهى تضطرم كالجذوة فى غروب يوم
من أيام الثورة السالفة الذكر »

يَا وَادِيَ الْمَوْتَى بِشطِّكَ رَاقِدٌ
خَفَقَت لَهُ الأَرْوَاحُ بِالصَّلَوَاتِ

مَا ضَمَّهُ جَدَثٌ هُنَاكَ . . وإِنَّمَا
حَضَنَتهُ دُنْيَا النُّورِ فِي هَالاتِ

سَهِرَت عَلَيهِ مِنَ السَّماءِ مَلائِكٌ
تُضْفِي عَلَيهِ سَوابِغَ الرَّحَماتِ

أَلَقُ الضُّحَى فِي سَاحِهِ مُتَصَوِّفٌ
وَرِعٌ يَطُوفُ بِأَقْدَسِ الحُرُمَاتِ

وَعوابِرُ الأَنسَامِ تَخْطِرُ حَوْلَهُ
رَيَّا بِنفحِ عُطُورِهِ عَبِقَاتِ

تَنسَابُ خَاشِعةَ ، وَتَسرُبُ عِفةً
كَمطيَّبٍ يَمشِي عَلَى عرفَاتِ ؛
وَالفَجْرُ قَبلَ شُرُوقِهِ فَوْقَ الرُّبى
يَختَارُ مِنـهُ وَشَائِعاً أَلقَاتِ
أَفوَافُ مِنْ لُمَعِ السنا ، وَمطَارِفٌ
يُلقِى غَلائِلَهَا عَلَى الرَّبَواتِ
وَيَسُوفُ عِطرَ الْخلْدِ مِنْ جَنَبَاتِهِ
وَيُذِيعهُ مِنْ أَكؤُسِ الزَّهرَاتِ
سأَلَ الدُجى أَسدَافهُ لَمَّا بدَتْ
فِى لِيلِهِ الغيْمانِ مُلتَمِعاتِ :
مَا بالُ ما أَسدْلتَهِ فوْقَ الْوَرَى
وَصَفَوْتِهِ مِنْ حَالِكِ الظُلُمَاتِ
لَمّا نزَلْتِ بِهِ عَلَى هَذَا الْحِمَى
أَضْحَى مُتوعَ الشمْسِ فوْقَ رُبَاةِ ؟
فأَجَابتْ الأَسدَافُ : إِنَّ مُضرَّجاً
بدَمِ الفدَاءِ أَضَاءَ لِى قَسمَاتِى

لَمَّا لَمَحْتُ رُفَاتَهُ خِلتُ الضحَى
يُزْجِى رِكَابَ النورِ فوْقَ سِمَاتِى
سَمَّوْهُ فِى الوَرَق الشهيدَ وَمَا اسمهُ
إلاَّ الخلُودُ بصَفحةِ المهُجاتِ !

* * *

مَا زَالَ سِحرُ النيلِ طىَّ حَفيرِهِ
يرْتَاعُ منهُ الذَّرُّ فِى الْحَصَياتِ
وَطَلاسمُ الأهرَامِ فوْقَ جَبينِهِ
قَبسُ الْخلودِ يَشِعُّ للنظرَاتِ
وَشماعَةَ الإِيمان تشرقُ بيْنها
كَالنَّجْمِ يَسكبُ رَائعَ اللَّمحاتِ
وَشُوَاظُ هيْجَتِهِ يكادُ عَلَى الثرَى
يُذْكِى اللَّظى بالأعظمِ النخِرَاتِ
مِلْ نَحْو مَضجعِه ! وَأَصْغِ لِجرْحِهِ
وَلِسمَعْ نشيدَ الدَّمِ فِى الْقطرَاتِ !
مَا زَالَ يُترعُ ثوْرَةً مِنْ قلبِهِ
خرْساءَ مُفصِحَةً بِلاَ نَبرَاتِ

وَكأنَّ آخرَ لفظةٍ هتفتْ بها
شفتاهُ ، مزمورٌ من التَّوْراةِ
وَكأنَّ أجْرَاحَ الأسِنَّةِ رَايةٌ
حمراءُ شهَّرَها الدَّخيلُ العاتى
لمحَ الشهيدُ خيالَها ، فنضا لها
رُوحاً يثورُ بأصلبِ العزَماتِ
وَأحالها مِزَقاً صَواغِرَ أصبَحَت
كفناً يُذيقُ القيدَ مرَّ شماتِ
وارْتدَّ فى رَيعانِهِ مُستشهداً
يُزهَى بقُدْسِ الموتِ فى الحُفُراتِ
وَكأنهُ لم يَلقَ من كُرَبِ الرَّدَى
إلاَّ رَسيسَ ضَنًى وَظلَّ صُماتِ !

* * *

أعْوادُ زَانٍ كنَّ فى كَنَفِ البِلى
صفراً، نبذنَ بأبشعِ الـكسرَاتِ

حمّلنه فأعادهنّ عرائشاً
تخضلّ فوق الهام مؤتلقاتِ

وكأنّ بين حنوطه ريحانةً
أزليّة هربت من الجنّاتِ

نسمت عبير الخلد طيّ سطوره
وترعرعت في ريّق النفحاتِ

وترى الشموع الموقدات لنعشه
شعلاً من الفردوس مبتعثاتِ

تهتزّ والهةً ، وتغضي رهبةً
كنوادبٍ في الركب مستحياتِ !

والسابريّ تخاله من طيبه
برد النبيّ معطّر الصفحاتِ

لفّ الشهيد مطهّراً فحسبته
ملكاً تهيّأ مهده لسباتِ

حارت شفاه الهاتفين حياله
ماذا تنصّ له من الدعواتِ !

وَاهتَاجتْ الغِيدُ العَوانسُ حيْرَةً
ماذَا يُفضْنَ لهُ مِنَ الشرُفَاتِ ؟

الزّهرَ ؟ ما تَطْيابهُ ! وَالعطْرَ ؟ ما
تَسْكَابهُ لمُعطِّرِ النَّسماتِ !

والْحُسنَ ؟ ما تَلماحُهُ ! وَاللحْنَ ؟ ما
تَصْداحُهُ لمفَجِّرِ النَّغماتِ !

خُيِّبْنَ حِينَ رَجوْنَ أَيَّةَ سلوَةٍ
فوَجمْنَ منْ هوْلِ الرَّدَى جزِعَاتِ

يَتَّمْنَ أدْمُعَهنَّ مِن طول الْبكَا
وَظِللنَ فى الأبْرَاجِ مُكتَئباتِ !

وَدَنَا الشهيدُ مِنَ القُبورِ فأُرعشتْ
طرَبًا بمقْدَمِ نعشهِ فرِحاتِ

كَحَمائمٍ نزحتْ فضَلَّلَ سرْبها
ظِلُّ المسَاءِ بوحْشةِ الفَلوَاتِ

جثَمتْ عَلَى الكثبانِ تَنتظر السَّنا
وَأتَى الصباحُ فهِجْن مُنتَعشَاتِ

حتّى إذَا وَافَى الحفيرَ كأَنهُ
وَحىُ السماءِ مُبلَّجَ الآيَاتِ
كَادَتْ عظَامُ الْهَالكينَ تَخَشُّعاً
لجَلالِهِ تَصْطفُّ فى الطرُقَاتِ
وتعودُها الْأرْوَاحُ من فرَحٍ بِهِ
وتظلُّ حتّى البعثَ مُبْتهجاَتِ
مَنْ مِثل هذَا الْحَىِّ؟ كرُمَ موْتهُ
منْ سائر الأحْياء وَالأموْاتِ!
وَهُناكَ تحتَ الْغاب يعزِفُ شاعرٌ
بقَصيدةٍ مكْرُوبةِ الْأبيَاتِ
أَشْجَى بها الشهدَاء بينَ قُبورهِمْ
وَأثارَ شَجْوَ الليْل فِى الْغاباتِ
وَشدا، فكَادَ الغابُ يسْجُدُ نَشوةً
وَيرَتِّلُ الأشجارَ فى السَّجَداتِ
لَما أذَاعَ شُجونَها فى ليْلةٍ
سوْداء كالأمْواجِ مُصطَخِباتِ

وَثبَتْ له رُوحٌ تفيضُ حَماسةً
وَمَضتْ تُلوِّمُهُ بِكُلِّ ثبَاتِ :

ما بَالُ قلبك لَجَّ فى نَغمِ الأَسى
وَفواجعِ الأَحْلَامِ وَالصبواتِ ؟

حطِّمْ (رَبابتكَ) التى تَشدو بها
وَادْفِنْ نَشِيدَ الهمِّ والحَسَراتِ

وَاصدَحْ لنَا بقصيدَةٍ وَطَنيةٍ
تَدَعُ الشهيدَ مُسَعَّرَ النفثَاتِ

أَسْمِعْهُ قِصَّتهُ . . فإنَّ حَدِيثَهَا
سَمَرُ الزَّمانِ بهذه الخلُوَاتِ !

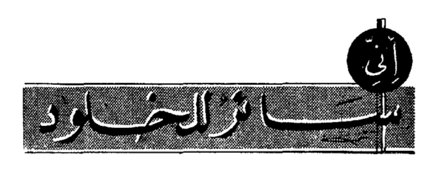
* * *

فانسَابَ وحىُ الشِّعرِ من أوتارِهِ
كجداوِلٍ فى الحقلِ منسَكِباتِ

وغدَا يُغنِّى فى الحمَى : يا جَنَّةً
فَجَّرْتُ بين ظِلالِها نَغمَاتى !

النِّيل فيهـــا قصَّة أبَدِيّةٌ
والطيْرُ قارِئُها على العَذَباتِ
والنّخْلُ فيها ذَاكِرٌ مُسْتَرسلٌ
هَيْمانُ مسحُورٌ على الوَرَقَاتِ
وَالنَّخْلُ فى صَمْتِ الرِّياح كأنَّه
نُسّاكُ فَجْرٍ آذنُوا لِصلاةِ
والشَّاعِرُونَ كأنَّ مسَّةَ جنَّةٍ
خبلَتْهُمُ من روعة الخَطَرَاتِ
تلْقَى أنامِلَهُم إذا جَاسوا بها
من زحمَةِ الألْهام مُرْتَعِشَاتِ !
كنّا نَسيرُ بها وَلا حُسْنٌ ! ولا
فِتَنٌ ! سوَى الأغلال مُحْتَدِماتِ
نُسْقَى بها البَلْوَى ، ويَشْرَبُ غيرُنا
منْ نِيلها بالأكْؤُس الشَّبِماتِ
والقَيْدُ يسبقنا إذا رُمْنَـــا به
فَتْـــكاً .. فيرْهِقُ عِزّةَ الخُطُواتِ

وإذا بأرْواحِ الشبابِ تُطلُّ من
خلَلِ الأسى والذلِّ مُنفطِرَاتِ
حتَّى أتى يومُ الفِدَاءِ فزُلْزِلَتْ
غضَبًا وراحَتْ فيه مُشتَعِلاتِ
لبِسَتْ دُرُوعَ النّارَ ثُم تقدَّمتْ
لِسَلاسِلِ الفُولاذِ مُضطَرِمَاتِ
نَسَفتْ صفائحَهَا ، وأفنَتْ ذرَّها
وتهافتَتْ فى التُّرْبِ مُبتسماتِ
رَشَفَتْ رَحِيقَ الخُلْدِ قبْلَ مماتِهَا
وتهيَّأتْ لِحِمَاهُ مُنتَشياتِ
فوَقفتُ أبعثُ ذِكرَها بِلاحنِى
فشَدَتْ مُرَفرِفَةً على أبْيَاتِى :
يا شاعِراً غَنَّى فكادَ نَشِيدُهُ
يهتَزُّ فى الأكْفانِ مِنهُ رُفاتِى
هذا خيَالُ الخالدِينَ فَغَنِّى
وأعِدْ بِشِعْرِكَ لِلشَّبَابِ حيَاتِى !



« ألقيت أمام النصب الرخامى التذكارى
لأحد شهداء الوطنية فى ثورة ١٩٣٥ م »

مِنْ دمِكَ الغالى قَبَسْتُ النشيدْ ... يا راقداً تحتَ ظلالِ الخُلودْ

إنْ لم تكُنْ وحْياً لشِعْرى ، فمَنْ ... يُوحِى نَشيدَ النيل غيرُ الشَّهيدْ؟

لفظٌ إذا ما رنَّ فى مسْمَعٍ ... خفقتْ به الدُّنْيَاء، وطارَ الوُجودْ

يَحْسَبُهُ القَيْدُ إذا ما علا ... فى شفَةِ الهتّافِ زأرَ الأُسودْ

فيُذْعَرُ الفولاذُ منْ هَوْله ... ويُحْطَمُ الغُلُّ ، وتَبْلَى القُيودْ

أعْزَلُ ! لا سَيْفٌ، ولا خنْجَرٌ ... لكنَّهُ بالرُّوحِ فلَّ الحديدْ !!

حُرٌّ . . رأى الأوْطان مَغْلولةً ... تُسْقَى مِنَ الغاصبِ ذلَّ العبيدْ

والنيلَ . . رغمَ الكوثرِ المشتهَى ... منْ مائه السّلْسَالِ فوْقَ الصّعيدْ؛

أضحَى لظمآنِ الحمى علقماً ... مُرّاً . . وللعادى شَهِيَّ الوُرُودْ .

والجنّةَ الفيحاءَ فى شَطّهِ ... كادتْ من التَّسْآلِ حزناً تبيدْ

تقولُ : يا غارسُ ! مالى أرَى ... زَهْرِى بكفيكَ لم تهبْ لى الجُهودْ
عِطرِى على أَغْلِها فائحٌ ... والشَّوكُ فى جنبيكَ يفرى الكبود
والظِّلُّ للعادِى مِهادُ الهوَى ... وأنتَ لهفانُ بحرِّ النُّجُود!
قد فزّعوا طيرى بأعشاشهِ ... فطارَ فى الأدغال مثلَ الشّريد
حيرانَ ! لا عُشٌّ ، ولا أيكةٌ ... والقومُ هانونَ بغضِّ المهُود!
وزاحمُوا النيلَ فشادُوا له ... من زحمةِ الأجسام شرَّ السدودْ!
فى كلِّ شىءٍ لهمُ مَطْمَحٌ ... ولوعةٌ كبرَى، ووَجْدٌ شديد
او أشعلُوا النارَ ولم يُسعفُوا ... بالحطَبِ الذاوى فنحن الوَقود!
يامَنْ رأى «مِصرَ» تُعانى الضنَى ... فى قبضةِ الغربِ العتىِّ العنيدْ ؟
ضيفٌ أتاها زائراً فى المسَا ... فطنَّبَ الخيماتِ عند الحدُود
وأسفرَ الصُّبحُ على نحسِها ... فطاحَ ميثاقٌ، وخِينتْ عهودْ
وأصبحَ الضيفُ بها سيِّداً ... وسائرُ الأحياءِ فيها عَبيدْ !
وإذْ بروحٍ من بَنِيها سَرَى ... مطهَّرَ القلبِ كرُوحِ الوَليدْ
حُرٌّ رأى الأغلالَ موثوقةً ... أحكمها فى الطَّوقِ ضيفٌ جحودْ
فهبَّ كالإعصار فى صرخة ... تهزمُ فى الوَادى هزيمَ الرُّعودْ
براحةٍ عزلاءَ لكنها ... ترُوعُ بالحقِّ جنَانَ الحسود

ناعمةٌ . . هاجتْ لقيْد الحِمَى ... شَديدةَ البأس كصَخْرٍ صَلودْ

وقالَ ـ والموتُ على كفِّه ـــ : ... لاتفزَعى يامصرُ . . إنى شَهيدْ !

وخرَّ فى الأرض على وَجهِهِ ... قداسةُ التقوى، وطُهْرُ السجودْ

شُعاعةٌ للحَقِّ مِنْ جفنهِ ... تَبْقى مَناراً هَادياً للوُجودْ

وخَفْقةٌ ماتتْ على ثغرهِ ... كادَتْ لهاشمُّ الرَّواسى تميدْ

أنشودةٌ علْويّةٌ أصبحت ... فى عالَم الألْحانِ لحناً جديدْ

تُناغمُ الأطيارَ من قبرهِ ... فى ساحة الموْتى بلحنٍ بعيدْ !

يَصيحُ . . وَالدمُ على جسْمِهِ ... غِلالةٌ تُزْرى بضافى البُرودْ !

يامَصرُ لا تبكى على مَصْرعى ... يوماً . . فإنى سائرٌ للْخُلودْ !

ماسُلْوتى فى التُّرب يا أمّتى ... رَخامةٌ تزْهى ، وقبرٌ مَشيد

لَنْ يَستريحَ العظمُ فى حُفْرَتى ... وَتنعمَ الرُّوحُ بعيشٍ رَغيدْ

إلاَّ إذا كُنْتُم ضحاياَ الْمُنى ... وَسرتُمُ خلفَ ركابى وَقودْ

إما حياةٌ حرَّة فى الحِمَى ... أوْ فازحَمُوا الأرْماس حوْلى رُقودْ

رُوحِى عليكُمْ أبداً حائمٌ ... يرقب للأوطان بذْلَ الجهودْ

لا تَخدعُونى فى حَفاواتِكُمْ ... بِرَونق اللفظِ وسحْرِ القصيدْ

فالمجدُ أنْ تلقوا بأرواحكُمْ ... ـ لاترْهبوا ـ فى النَّارِ هوْلَ الوعيد

وَتحطمُوا القيدَ بهـا . . إنّى ... أسمعُ فى الأكفانِ جرْسَ الحدَيدْ

١٩ نوفمبر ١٩٣٥

«ألقيت على قبر (الجراحى) شهيد ثورة سنة ١٩٣٥ ليلة الاحتفال بدفنه يوم ١٩ نوفمبر»

مصر ظمآى وذلكَ الدَّمُ رىٌّ
لصداها ... فلا تَنُوحوا عَلَيْهِ !
كم سقتنْا من سَلْسَلِ النِّيل خمراً
لم تُفَضْ كَأسَهَا سِوَى شفتَيْهِ
مالَنا نُرْخِصُ الدموعَ إذا ما
سُفِكَتْ قطرَةٌ على شاطئيْهِ ؟
وهو أحْرَى بأن نسوقَ الضحايا
حاشِداتٍ تُزَفُّ لَهْفَى إليْهِ !

* * *

صرخَتْ (مصرُ) للظَّلوم .. ولكن
غلَّف الظُّلْمُ جَهْرَةً أُذُنيهِ
تخذَ النّارَ والرَّصاص جوابًا
للَّذِى يشتكى إسارًا لَدَيْهِ
ولَوَى جِيدَه عن الثّائِرِ الحُرِّ —
وشدَّ الأغلالَ فى ساعِدَيْهِ
وأعار الدِّماء نظـــرةَ ذِئْبٍ
يَقطرُ اللؤمُ من سَنَا عينيْهِ
فلنثُر ثَوْرَةَ الأبىِّ ! ونلْقى
كلَّ يَوْمٍ ضَحيَّةً فى يَدَيْهِ !
علَّ طُهْرَ الدماءِ يُلْهِمه الطهرَ —
ويمحو الأَرْجاسَ من جانبيْهِ !



من ذلك السارى ؟

« ألقيت فى الاحتفال الذى أقامته عاصمة الصعيد (أسيوط) « وطن الشاعر » تكريماً لصاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا رئيس الوزراء فى أثناء رحلته السياسية بالصعيد فى مارس ١٩٣٨ »

مَنْ ذلك السّارى؟.. عليه سلامُ !   كادَتْ تسيرُ وراءَهُ الأهرامُ

قَبَسٌ من «الفاروق» يلمعُ فوقه   وهُدًى يزُفُّ ضياءَهُ الإسلامُ

والشعرُ هلّلَ فوقَهُ، فكأنه   حَرَمٌ.. وسجعُ الشاعرين حَمامُ

والنّيلُ من فَرَحٍ به مُتهلِّلٌ   يُزجى البشارةَ موجُهُ البسّامُ

والشمسُ تنشرُ فوقَهُ من تبرها   حُللاً تصافحُ نورَها الأعلامُ

والشّعبُ يُنشِدُ فى الحقول أغانياً   ذَهبتْ تردِّدُ شدوَها الأيّامُ..

داعٍ إلى الحقِّ استجابَ دُعاءَهُ   مَنْ ليسَ عن همسِ الدعاء ينامُ

تركَ الجهادُ بصفحتيهِ معالماً   أغرى بها وَهَنٌ، ولاحَ سَقامُ

لكنَّ فى جنبيهِ رُوحاً ثائراً   للحقِّ صيحتُهُ لظًى وضِرامُ..

عبرَ الشّواطئَ داعياً.. فكأنّهُ   «جبريلُ» حفَّ ركابَهُ الإلهامُ

وكأن رجعَ صداه صوتُ مؤذنٍ — هرعت تجيب نداءه الأقوامُ

وردت ضفاف النيل حتى خلتها — أسرابَ طيرٍ هاجهن زحامُ

وحسبتُ ماءَ النيل وجهاً سافراً — ليراه.. والشعبُ المطلّ لثامُ

غزت الوفودُ ركابَه.. فكأنه — قلبٌ، ودنيا الوافدين غرامُ

وكأنه للناس فجرُ بشائرٍ — رقصت على جنباته الأحلامُ

صدحت مزاهرُهم! ودندن عودُهم! — واهتزّ منهم فارسٌ وحسامُ!

وعلى الدفوف قصائدٌ قروية — من سحرها تتراقص الأقدامُ

وعلى السيوف – وقد تخشّع حدُّها — ذلاً لهيبته – هوًى وهيامُ

من هول عزمته تعلّم سنُّها — كيف المضاءُ يكونُ، والإقدامُ

ولموكب الفرسان رقص خالد — ذهبت تواقعُ ظلَّه الأنسامُ

في كل دسكرةٍ، وكل مدينةٍ — عرسٌ على المرج النضير مُقامُ!

سمع الفراعنُ صوتَه. فتيقظوا — ومن البلى خفّوا إليه وقاموا

سألوه: نصرُ الله فوقك سابغٌ — كالشمس مات بشطها الإظلامُ

والعرشُ ظللكَ الغداةَ بنوره — ورعاكَ منه العطفُ والإنعامُ

ما كاد ينشرُ ضوءَه، حتى هوى — نجمُ الغواة، ودُكّت الأصنامُ

رقصت لمصرعهم هياكلُ (طيبة) — وهفت صفائحُ تحتها ورِجامُ

وانهارَ صرحُ الظالمين، وأصبَحت ... في نَعيِهم تتسابقُ الأقلامُ

فعلامَ تدعو؟ بعدَما هتفَ الحمى : ... نحنُ الجنود، وعرشُ مِصر إمامُ

سرْ يا «محمد» لا تُبال بعُصْبةٍ ... حَمْقاءَ ! ملءُ زَمانها آثامُ

فشعارُها النحسُ، وفَيضُ عُهودها ... بُؤسٌ ! ومَسبحُ خَطوها آلامُ

مَعبودُها صنَمٌ ! وأقسمُ صادقاً ... أنَّ العبادة في حِماه حَرامُ

نصبُوه للتاريخ سُخْرِيةَ الورَى ... يَلهو صبيٌّ عندهُ وغلامُ

نَعشُ العدالة سار خَلفَ ركابهِ ... تَبكي وَتلطِمُ حَوْلهُ الأحكامُ.

لم تترك الغفَلاتُ في ميزانِهِ ... طيْفاً لحقٍّ يُرْتجى وَيُرَامُ

سَلَبتهُ رِشدَةَ عقلِه، ومَضت بهِ ... وَيدُ الجنون لساعدَيْه خِطامُ

قد جُنَّ «بالمسعود» حتى خلته ... «قيساً» يحرّقهُ هوىً وهُيامُ

ألقى إليه جنانَه ، وكيانَه ... ومشَى .. وحبْلُ الظلمِ فيه زمامُ

ووراءَ خطْوهما شراذِمُ فتنةٍ ... غُبْرُ الوُجوه من النُّحوس ، لِئام

زُرقٌ تصيحُ من الفَسادِ جُسومهم ... فوْضى الحياةِ لدَىّ، والإجرامُ

عاثوا على الوادِي كذُؤبانِ الفلا ... وتخبَّطوا فكأنَّهمْ أنْعام

حملُوا الخناجِر.. فاستَحَتْ، وتَصايحَت ... لن يحْملَ البيضَ الرِّقاقَ طَغام !

قلْ للحُفاةِ وقدطغوا وتجبَّروا: ... كُفوا ! فعينُ الله ليس تَنامُ

أقسمتُ ماحَلَّ القميص جَزاؤكم فلمثلكمْ قد حلَّلَ الاعْدامُ !
كنا يفزِّعنا صياح طبولهم ونُهان فى أرْض الحِمَى ونُضام
نُسْقَى المذلةَ فى تُراب جدودنا فكأننا غرباء ! أو أيْتام
زَعموا هوَى الدستور ، وهوَمنهم ، فحبهمُ صدًى وكلام
كم أقسموا .. فشدا لهمْ : ياقومنا فى الظلم لا تتَحلَّلُ الأقسامُ
حتى أذاعَ العرش من أبْراجه صوْتاً تخر لهوْلِهِ الأجْرام
أبلَى سفاهتهم ، وفلَّ عِنادَهم فتطايروا ، فكأنهم أوْهام
وكأنما تاريخهم من شؤْمه قبر يجلِّلهُ بِلًى ورِمام
وأتى « محمد » حاكماً .. فأذاقهمْ كَأساً .. بِرشفها ردًى وحِمام
العَرْش أيَّده ، وكَرَّم ظِلَّه مَلِك يَحف بخطْوِهِ الإلهام
« فاروق » والدنيا تتيه بعرْشِهِ ويعز تحت ظِلالِهِ الإسلام
أقسمتُ .من برَكاتهِ ـ لولا التقى ـ صلَّى الأنامُ على هَواه وصاموا ..
غمرَتْك من تأييدِهِ ثقة العلاَ فاحكم ، فأنتَ السَّابق المقدام
واسمعْ نشيدى فيكَ ، إنى سقته سِحْراً تردِّده لك الأيامُ



إلى رفات ملك أثيوبيا . .

مرثية غصن الزيتون

لا زَهْرُهُ ينـدَى، ولا هُوَ يَنفحُ

ذاوٍ على طرَف الصَّبا مُتصوِّحُ

رَيَّانُ أمْيَسُ هدَّلتْ أطرافهُ

هوْجاءُ من نار المطامع تَلفحُ

فرْعٌ من الزَّيْتون لم يَخفقْ له

فَنَنٌ، ولم يَسْجعْ عليه صيْدَحُ

أنداؤهُ من حكمةٍ أبَدِية

صَمتتْ فما تَلغُو ولا تتَفصَّحُ

وغِـذاؤه من رحمةٍ عُلوِيَّةٍ

يضفو بها طيْفٌ هناك مُجنَّحُ

تخِذَ السلامَ قصيدةً قُدْسِيةً

يشدُو بهـا شادي السَّلام ويَصدحُ

لو رَنَّ هاتفُها بسَمْع كتيبةٍ
هَوْجاء فى رهَج اللظى يتوَجّحُ ؛
سجدَتْ له الأسيافُ خَجْلى رهبة
وتـكَفَّأتْ فوق الثَّرى تتطوَّحُ

* * *

ياسَرْحةً برُواق «جينيفَ» ارتَوَتْ
من جدْولٍ بدم الضحايا يَنضحُ
نبعٌ من الأرواح سَلسَلَ فيضَهُ
وجرَى على بَطْحائها يتفوَّحُ
يَنسابُ من خَلل الجماجم صاخباً
أمواجُه من كل عِرْقٍ تطفح ...
ماذا دهاكِ فلم يدَعْ سوْسانة
ـ من هوْله ـ فى جانبيكِ تُفتّحُ ؟
صوتٌ من الطّلْيان أرْوَعُ غاشمٌ
مُتحَفِّز بين الورَى يتَبجَّحُ
خَدَعتْهُ صامتة القنابل حينما
ذهبتْ تُهدِّدُ بالردَى وتُلَوِّحُ

مَجْنونَةٌ بالموْتِ ، جُنَّ حَدِيدُها
ومُرِيدُها خطراً يَروعُ ويفْدَحُ

رَعناءُ لو مَسَّتْ مطارفَ شاهق
لانْدَكَّ من عالي الذُّرا يتطَرَّحُ

سَكرَى بخمر الموت تهذِي جهرةً
بملاحنٍ من كِبرها تتوقَّحُ

خرْساءُ لوْ نطقَتْ أصَمَّ ضجيجُها
أذُنَ الحياة ، فلا تَعِي ما تُفصِحُ

حبلَى بنَسْل النار ، يا وَيلاهُ ! إنْ
وَلدَتْ فَحتْفٌ للبرِيَّة يكسَحُ !

كم أفزعَتْ «عزريلَ» حين تبَرجَّتْ
تلهو على جُثَث العباد وتَمرَحُ

* * *

سلْ أُمَّةَ الأحباش.. كيف تفزَّعتْ
وغَدتْ على قُضُب القَنا تترنحُ

لم تُغْنِها الأجبالُ تعصمُ هارباً
أو شاكياً تحت المغافرِ يرزَحُ

خيَماتُها فى الحرب لو أبصرتَها
شُعَلاً على كنَف الهواضب تلمَحُ

هى ألسنٌ للحق ذاعَ بيانُها
ضَرَماً عن الوَجْد المكتَّم يُفصحُ ؟

يارُب مُسوَدِّ الجبين بظلِّها
قَسماتُه عنـــد الوغَى تتوضّحُ

يصْليه إيمانُ العزائم باللظَى
فيظلُّ من قبَساتِهِ يَتروَّحُ

يَلْقى الطُّغاةَ بعزْمةٍ لو صادفَتْ
قلبَ الحديد لخرَّ بالدَّم يرْشحُ !

* * *

يا فارسَ الرُّومِ العنيــد تحيةً
من شاعرٍ باللَّوْم جاءك يصدَحُ

أنغامهُ في النيل ضيَّعها الأسى
وهي التي بهوى البلاد تُسَبِّحُ
عُذريَّةٌ تشدو ، فإنْ هي أقبلَتْ
يأسو يُرَاوغها الشَّماتُ فيَجْرحُ
صرختْ على حُريَّةٍ مسلوبةٍ
شُعراؤها في كلِّ فجٍّ نُوَّحُ ...
ما ضرَّ لو أمهلتَ طائشةَ الوغى
قوماً تغادَوْا بالشَّكاة وروَّحوا ؟
أوطانهم ! يا رحمتا لمصيرها !
أمَلٌ لسُفَّاكِ الطُّغاةِ ومطمَحُ
فزِعوا من الغازات تخنُقُ جوَّهم
فيَضُوعُ بالموْتِ الأصمِّ وينفَحُ !
اللهُ طهَّره هواءً طيِّباً
كالروض ضمَّخَه العبيرُ الأفيَحُ
وابنُ التُّراب . . أحالَهُ مسمومةً
نكباءَ ذاريةً تُبيـد وتَقْدَحُ !

سائل الخنجر عنهم ... والخياما

«قيلت فى تأبين صريع من ضحايا عصابات (الزرق) التى استشرى داؤها فى مصر عام ١٩٣٧»

سائل الخِنْجَر عَنْهمْ والْخياما : كيْف فرُّوا من يد البَطْش نَعاما!

كيفَ أضحَى فى الحِمى قُولاذهمُ ـ بعْدَ ما ارهبَ ـ ذَرّاً وحُطاما

لامعُ الحَدَّيْن أبلَى سنَّهُ صَدَأُ البغى ، فولَّى مُسْتضاما

جُرِّد الحقُّ ! فلما شامهُ صَمَّ من فرط التجنِّى وَتعامَى

فرَمَتهُ ضرْبةٌ قاصِمَة من يَد الحقِّ أذاقتهُ الحِماما..

عُصْبة لِلزُّرْق أضْحَى شُؤْمُها جَلَّلَ الأوطانَ ظُلماً وَظَلاما

تضربُ الدُّفَ حوَالَىْ مَوكبٍ مات فيه السعْدُ! والنحْسُ أقاما!

مِن طغَام الإنس لكنْ نجمهُمُ ساقَهُم فى غفلةِ الدهرْ كراما

كاسفى الوَجهِ على هاماتِهم لَعْنةُ الأكْوانِ راحَتْ تترامَى

سَلبوا البُوم صَدَاهُ ! والدجَى صِبْغَهُ ! وانتحبُوا مثل الأيامَى

إيه يا قومِ انْسَخوا أيامَهمْ إنها لَم تَرْعَ للحق الذِّماما

وَاجعلُوا من عَصرهم سُخريةً جَلَّ ماضى النيل عَنها وتسامَى

عانَدُوا العَرْش فطاحُوا. وغدَوْا يَشْربون الدمعَ فى البَلوَى ندامَى

أظلَمَتْ (مِصرُ) بهم.. حتى بدَت شمسُ «فاروق» فردَّتها ابتساما



«أنشدت فى مهرجان ذكرى شاعر النيل
حافظ ابراهيم»

جَدَثٌ بِعَذْرَجة الرِّياح مُعفَّرُ
اَلْبُومُ ضَيْفُ تُرابه والقُبَّرُ
ذَاوِى الرُّسوم من َالْبلى فكأَنَّهُ
أَثَرُ النِّمال مشتْ عليه الأَعْصُرُ
أوْ خطٌّ رَمْلٍ أنشأتْهُ بنَانَةٌ
«لسَطيحَ» مِنْ ماضِي الدُّهور مُسَطَّرُ
أوْ حِكمةٌ مرْقومةٌ فى مَعْبَدٍ
مُتهَدِّم شابَتْ عليـه الأسطرُ
أو نَقَشَةٌ فى حانة مَهجورةٍ
اَلْجامُ صُفَّاحٌ بهـا مُتَبعثِرُ
عَبرتْ عليه الريحُ كاسِفةَ الخُطَا
مَوْهونَةً فوق الثّرَى تتعثّرُ

والليلُ أطرَقَ واجماً فكأنَّه الزِّ

نْجيُّ فى حَلَكِ الأثيرِ يُفكِّرُ

والنجْمُ يخفُقُ رحْمةً فتخالهُ

عيناً من الغيْبِ المستَّرِ تنْظُرُ

والنيلُ حينَ جرَى بجانبهِ سرَتْ

فى موْجهِ البلوى وكادَ يزمجِرُ

وَالعبْقريّةُ أعْولَتْ مشدوَهةً

ثكلى تفجَّعُ صوْبَهُ وتحَسَّرُ

قالتْ — وقد شهدتْهُ منبوذَ الحمى

وحَفيره فى البيدِ أشْأمُ أغْبرُ

والسَّافياتُ شدَدْنَ من أوْصاله

قصبًا تزفُّ بجانبيْه فيَصفرُ ،

وَنشَرْنَ من أكفانِه رغْمَ البلَى

طاراً عليْه يدُ النَّسيمِ تُنقِّرُ ،

وَهزجْنَ والبُؤْسُ المخلَّدُ ماثلٌ

كالأمْس فى حرَمِ الردَى يتبَخْترُ ،

وأقمنَ عرْساً ماجَ فوْقَ تُرابه
يَلْهو به جنُّ الفَلاةِ وَيسمُرُ :—

يا قبرُ ! لى تحتَ الصفّائح شاعرٌ
تاريخه مِن نحسِهِ متفجِّرٌ
عَبَر الحياةَ فما صَغَتْ لنشيدِه
أذُنٌ ، ولا واستْه عيْنٌ تُبصرُ
فكأنما . ألحــــانهُ تأويهةٌ
فى اللَّيل ردَّدها شَـجٍ متَحيِّرُ
أوْ دَمعةٌ مخْنوقة . . وقفَتْ عَلَى
شط الجفُونِ سَجينةً لا تَعْبُرُ
أوْ دَعوة مخبوبة فى مهْجَةٍ
جَلَّى هداها فى الدُّجَى مستُغفِرُ
أوْ همسةٌ فى الغاب تائِهةُ الصّدَى
أبْلَى نُفاثَتَها الظّلام المُصْحِرُ
دُنيَا مِن النِّسيان ألْقىَ مهْدُه
فيها ! وسُوِّىَ لحْدُهُ المتَهَجِّرُ !

ونصيبُه بعدَ الفناء . . مصفِّقُ
يَهذي لراثٍ فى المنابرِ يَهتِرُ

ومُهَلِّلونَ لشـــاعرٍ مُتَرَنِّمٍ
يلغو بأَسْجاعِ البيانِ وَيهذِرُ !

يا قبرُ . . هُدَّ بناكَ عن جَنَباتِه !
مَنْ قال نسلُ العبقرية يقبرُ ؟

فاهتزَّ مُرْتاعاً ، وغمغمَ جاثياً
ومضى يهلِّلُ نَحْوَها ويكبِّرُ :

لا تجزعى ! فهُنا الخلودُ وسِرُّهُ
خافٍ على كلِّ العقول مستَّرُ

لاتحْسبى قُبَبَ الرُّخامِ أظلَّها
بالسَّرْوِ رَيَّانُ الفُروعِ مُنَضَّرُ

نفضتْ بساحتِها العطَّارُ جيوبَها
فالمسْكُ يَسْطَعُ تحتَها والعنبرُ

وأحالَها فَنُّ المصوِّرِ آيةً
سرَتْ الحياةُ بها فكادَتْ تَطفرُ

ومَضَتْ بها التِّيجانُ تَلمع فى الدُّجَى
(كِسْرَى) نَزيل رحابها أوْ (قيصرُ)؛
أَزْكَى ثرًى مِنْ حُفْرَةٍ مطموسَةٍ
دفنَتْ بها ميْتًا لديْها عَبقرُ
تُذْرَى ويُذْرَى العظْمُ فى هَبوَاتها
والخُلدُ من ذَرِّ التراب منوَّرُ!
هذا. ربيبُكِ أعظُمٌ منْسيَّة
رجفَتْ لها فى الخافقَيْن الأدْهُرُ
فى مهْرَجان الخالدِينَ، حديثه
نَغمٌ عَلَى شفَة الخلود معطَّرُ
حشدَتْ لهُ الأهرامُ ذكراً لوْعدا
فيها البِلى، لصَبا إليهِ المحْشرُ
فى كلِّ محرابٍ، بها وَبَنيَّةٍ
شادٍ يرتِّل لحنَــــه ويكرِّرُ
شِعرٌ إذا ما القيْدُ صَلَّ حديدُه
فى ظلِّها، يُضْرى لَظاهُ فيصهَرُ

هزَّ الجُنوبَ بثَوْرة صخَّابة

يَغْلى بها صَمتُ القصيد ويَسْعَرُ

تَسْرى ، فيرهُبها الطُّغاةُ ، فتنبرى

كالموْت لا تُبْطى ولا تتأَخَّرُ

مَنْ راحَ ينكرُ حاسداً أصْداءَها . .

هذا دَمُ الشهداء منِها يقطِرُ !

فى « دِنْشوايَ » لها رَنينٌ خالدٌ

زَعَجَ الزَّمانَ دَوِيُّهُ المتَسَعِّرُ

سَجَدتْ لصَرْختِهِ المشانقُ رَهبةً

وارْتاعَ منْ خَفقانِها المتَجَبِّرُ

وَأناملُ الجَلاّدِ ودَّتْ — رحْمةً —

لوْ كل أُنْمُلةٍ عليها خنْجَرُ

ترْتَدُّ فى عُنُق الذى يَهوى بها

قدَراً يذودُ عن البرىء وَيثأرُ

تخِذوا الحَمامَ إلى الِحمام وسيلةً

شنْعاءَ ، واهتاجُوا هناكَ وزَمْجَروا

نَصَبوا مشانِقَهم لنـا . . فكأنّنا
قُطعانُ شاءٍ في المَجازِرِ تُنْحَرُ
وَلَوْ أنَّها نطقتْ لصاحَتْ في الوَرَى:
كَيْدٌ (لمصرَ)، وحَوْبَة لا تُغْفَرُ
إنْ كان بطشُهمُ تكبَّر عاتيًا . .
فالله والوَطن المفَدّى أكبَرُ!
قمْ عاشقَ النيل!! استَفِقْ . . فصباحُهُ
حَيرانُ في الشَّطَّيْن أغْيَنُ أصفَر
صَدْيانُ ؟ ما نَقَعَ الندَى لغَليله
شوقًا ، ولا رَوَّاهُ موْجٌ يَزخَرُ
لَهَفانُ ! ينتظر الذى غنّى له
ويَصيح فى نَوْر الخَميل وَيزأرُ :
أَينَ الندَى والسَّلْسَل المسكوب منْ
نَغَمٍ صداهُ بلا أثامٍ يُسْكِرُ؟
أيْن البلابلُ فى الضحى مسْحورةً
بالشَّدو ، أنطقَها الرَّبيعُ المُزْهِرُ،

مِنْ شاعرٍ نَهبَ الضُّحى . . وأذاعهُ
لحناً يغرِّدُ في الرُّبى ويصفِّرُ
ماشَدَّ أوتاراً له أوْ أرْغُناً
بلْ كان شَطِّى في يَدَيْه المزْهَرُ !
وَلَهُ بعصْرٍ ! وهزَّةٌ في قَلْبه
بغَرامها كاللُّجِّ راحت تَهدِرُ
وهَوًى أحالَ الشرْقَ قلباً ثانياً
في صَدْرهِ ، بأسَى النوازلِ يشعُرَ . .
سَلْ « غادةَ اليابان » كيفَ أهاجَها
في الرَّوْع عن ضافى الثِّياب تُشَمِّرُ ؟
تَمضى بُمشتَعِل السِّنان فإنْ قَسا ،
تأْسو جراحاتِ السِّنَان وتَجْبُرُ !
واسْمَعْ نشيدَ (الأرْز) في (لُبنانِهِ)
« بَرَدَى » يكادُ بسِحْرِهِ يتخدّر
و « الْحُورُ » مُنْتفِض الغَدائر ، رَاقصٌ
نَشْوانُ من رَجْع الغِناء مُطيَّرُ

شادٍ بأظلال «الجزيرة» ساجلَتْ
أَلحانَهُ تحتَ الصنَوْبر «دُمَّرُ»

أسْرَى إلى الدنْيا الجديدةِ صوْتُهُ
فاهتزَّ من طرَبٍ لديْها المهجَرُ

واسَى النزيلَ بها ، فكادَ غريبُها
يُغْنيهِ للوطَنِ الحبيبِ تذَكُّرُ !

سلْ عنهُ في يوم «الإمام» خريدةً[1]
وَضَحُ الهُدَى من صفْحَتيها مُسفرُ

فزِعتْ إلى القبْر الطَّهور ... وقلْبها
جزَعاً عليْه من المحاجر يقْطرُ

بالأمْس علَّمَها التَّصَبُّر في الأسَى
وطحَتْ بها البلْوىَ ..فكيفَ تصَبَّرُ؟

هتفَتْ به : يا مُوقظ الأسلام قُمْ !
فالشرْقُ بعدَكَ واهنٌ مُتَعثّرُ

(١) إيماء إلى تائيته المشهورة في فقيد الاسلام الامام (محمد عبده)

كادَتْ ماآذنُهُ تَعيدُ قبابها !
وأذانُها يَرْثى ! ويَهْوى المنبرُ

ياوَمْضةً من «كامل» (١) قَدْ أشرَقتْ
فَيْضاً منَ النَّعْشِ الطَّهورِ يُحَدِّرُ

هاجَتْ على أوتار شاعرِه لظًى
متخشماً يخفى اللهيبَ وَيستُرُ

تَذْكو ، فيرهبُها الجلالُ ، فتَستحى
فتَدُسُّ أنفاسَ الضرام وتُضمرُ

الشُّعلَة الأُولَى بوادٍ مُظلِمٍ
هالاتها من أصغرَيْهِ تَنوَّرُ

قَلْبٌ كأنَّ النيلَ أرْضعهُ الندَى
فى المهد ، قُدسىُّ الشِّفاف مطهَّرُ

فإذا يحِنُّ لمصر تحسَبه الصبا
فى فجْرها فوق الخمائل تخطرُ

وإذا يثورُ لها ، تَخالُ مُروجَها
غيلاً يهيج على ثَراه (القَسْوَرُ)

(١) نبى الوطنية وشهيدها الأول (مصطفى كامل)

مَجْنونٌ بالأوطان تَحتَ لسانِهِ
وجَنانِهِ نَبعٌ لهـا مُتفَجِّر
إنَّ الجنُونَ بمصرَ أروَعُ حكمةٍ
يُوحِي بهـا شَرْعُ الوفاء وَيأمرُ
قُم عاتبِ الأوطانَ (حافظُ) هاتفاً
بهواه . . إنَّ جنانَها مُتَحجِّرٌ[1] !
شِعرٌ إذا ينساهُ شعبُكَ جاحداً
فالنِّيلُ فى يوْم الفخار سيذْكرُ
خِيلَ الحزَانَى حين رنَّ لبُؤسِهم
غُرباءَ بالعَوْد المفاجىء بُشِّرُوا
يَأْسُو وأجراحُ الزَّمان دَفينةٌ
كسرائرٍ ـ فى قلْبه ـ لا تُنشرُ
أذكَى أساىَ ولمْ أر الشَّادِي به
لـكنَّهُ نسَبُ الجُحودِ مؤَصَّرُ !!

(١) ما زال تمثاله حبيسا . . حتى عن نور الوادى الذى استشهد (مصطفى) فى سبيل حريته ! !

ثورة الإسلام ... في بدر

« جهد التذكر استطاع الشاعر
أن يثبت ما ضاع من ألحان هذه
القصيدة ... »

خَفَقَ العَرْشُ بالنَّشِيدِ المطهَّرْ
فدَعْ الشِّعرَ والأغانى .. وكَبِّرْ !
وإذا شئتَ نغْمةً .. فدَعْ الرُّو ـ
حَ ـ جلالاً ـ من شُرفةِ الغيْب تنظرْ
وتهيَّأْ للوَحْىِ يأتيكَ بالشِّعْـ
ـرِ كسيْكاب دِيمَةٍ تتفجَّرْ
وتلفَّتْ لمرْبَعِ الجِنِّ فى البيـ
ـدِ ترَ الجِنَّ غَيْرةً يتفَطَّرْ
فاحْكِ لِلْجاحدين يا شاعرَ الخُلْـ
ـدِ أساهُ ! وصِفْ مناحَةَ (عبْقَرْ) !

هكذا قالَ لى صدَى مُلْهِم الوَحْـ
ـيِ ، فأصغيتُ لحظةً كالمخدَّرْ
وانتظرْتُ الإلْهام حتَّى إذا ما
رنَّ بى هاتفُ الخيالِ المستَّرْ ؛
رجفَتْ فى الجنانِ كالزَّعزَعِ القَصَّـ
ـافِ ، تغْلى بجانبىَّ وتزأرْ
من فِجاجِ الغُيُوب هاجَتْ صباحاً
ثورةً فى الرِّمال هبَّتْ تزمجِرْ
قيلَ : (بَدْرٌ) فزُلْزِلتْ هدْأةُ النَّا
ى وكاد النَّشيدُ بالدمِ يقطرْ . .
أقبلَتْ كالعَجاج فى هبوَةِ الحرْ
ب (قُريشٌ) على الحيـاضِ تنفَّرْ
كلٌّ ذِى سحْنةٍ كغاشيَةِ الليْـ
ـلِ ، وهوْلٍ يرتاع منه الغضَنْفرْ
يتنزَّى بسيفِه مِنْ ضلالٍ
هوَ أعمَى لديْه ! والسيْفُ مبْصِرْ !

سَلَّهُ من قرابِهِ وَهْوَ خَزْيا—
نُ لأيٍّ من الرِّجال يشَهَّرْ
لوْ مَضَى يستَشيرهُ ساعةَ الرَّوْ—
عِ لرَدَّاه كالحطامِ المبَعْثَرْ
عجباً للحديد يُهدَى إلى الْحَـ
قِّ ! وهادِيهِ كالضَّرير المحَيَّر !

. . . .

حَشَدوا مَوْكبَ المنايا ! وخَفُّوا
لضيـاء الإِله غاوِينَ فُجَّرْ
يتراءَوْن كالصَّواعق فى الرَّمْـ
ـلِ ،ووَجهُ الضُّحَى من الرَّوْعِ أغبَرْ
كالشَّياطين جَلجلَتْ فى دُجَى اللَّيْـ
ـلِ ، وهاجَتْ فى البيد تَعْوى وتَصفِرْ
أرْزَمَت فوقهم سُيوفٌ ! وَريعَت
مِن تنادِيهُمُ أَضاةٌ ومِغْفَر

زَلْزَلوا راسِيَ الجِبال ! وراحَتْ
منهُمُ الْبِيدُ تقشَعِرُّ وَتُذعَرْ

ومَضَى الشِّركُ بينَهُمْ مُزعجَ الهَيْ
جَةِ ، طَيْشانَ كاللَّظَى المتَسَعِّرْ

جمَّعَ الهَولَ كلَّه فى يدَيهِ
ومَضَى بالحِمام فى الهوْل يزْفرْ

إنْ يَكُن كِبرُهُ أجَنَّ الْبَلايا
لِنَبِيِّ الإسْلام . . فالله أَكْبرْ !

. . . .

سَجَدَ (اللَّاتُ)[1] مُؤْمِناً ! وَجَثا (الْعُزَّ
ى) يُناجِي (مَنَاةَ) : يا صاحِ أبْشِرْ !

هَلَّ فى ساحِنا وَميضٌ منَ النو
رِ غَريبُ التَّلْماحِ ، خافِى التَّصَوُّرْ

(١) اللات والعزى ومناة . . أصنامٌ عبدها كفار (قريش) وهذا تصوير لنور الإسلام حينما هلّ فى محاريب عبَدَة الأصنام من المشركين !

ذَرُّهُ أَرعَدَ الصَّفَا ! وأحالَ الصـ
خرَ رُوحاً يَكادُ فى الرَّمْل يَخطرْ
لامِنَ الشَّمس فَيْضُهُ فلَكَمْ شعَّـ
تْ علينا فلم ترُع أو تبهَرْ !
لا منَ النَّجم لمحُهُ . . فلَكَم لَا
حَ كئيبَ الضياء ! وهْنَانَ ! أَصفرْ !
قد نُسِخنَا به ! ومنْ غابر الدَّهْـ
ـرِ نَسَخنا البِلَى ولم نتغيَّرْ !
أَلَّهُونا . . وعَفّروا ـ وهُمُ الصِّيـ
ـدُ ـ عُلاهُم عَلَى ثَرانا المعَفَّرْ
سِرْ بِنا يا (مَناةُ) نَخشَعْ جَلالاً
لِسَنَا النُّور . . علَّهُ اليومَ يَغفِرْ !
عَجَباً ! ! خرَّت المحاريبُ والأصْنـ
ـامُ دَكّاً . . والعبدُ مازال يكفُرْ ! !

. . . .

وعلى التَّلِّ خاشِعٌ فى عريشٍ
قُدُسِيُّ الظلال ! زاكٍ ! مُنَوَّرْ
كاد مِنْ طِيبِهِ الجَرِيدُ المُحَنَّى
مِنْ ذُبول البِلَى يَميسُ ويُزهِرْ
هالَةٌ تسكُبُ الجلالَ ، وتَنْدَى
بوميَض الهُدى يُفيقُ ويَسحَرْ
لَو رَمَتَ كاسفَ البصيرةِ أعْمَى
عادَ مِنْها مُبَلَّجَ القلْبِ أحْوَرْ
قسَماً ! ما أراه إنْساً . . . فإنِّى
أتحدَّى بهِ بَنانَ المصوِّرْ !
باسِطٌ كفَّهُ إلى اللهِ . . يَدعُو :
رَبِّ!حُمَّ القَضا لدينكَ . . فانصُرْ !
إنَّ أجنادِىَ البواسِلَ قُلٌّ . .
وخَميسُ العَدُوِّ كالموْج يَزْخَرْ . .
خَفقَةٌ من كَرًى تَجلَّتْ عليْه
مال مِنْ طُهرها الرِّداءُ المُحَبَّرْ

وإذا الوَحْيُ بارقٌ مُسْتَهِلٌّ
مِن سَمـــاءِ الغُيوب هَنَّا وبَشَّرْ

فانتَضَى سيفَه ! وهَبَّ على الْغا
رَة بالسَّرمَدِ القوىِّ مُؤَزَّرْ

يَنفَحُ القَومَ بالحَصَا ، فتُدَوِّى
أَسَلاتُ الإسلام فى كُل مِنحَر

وجُنود السماء مِن كلِّ فَجٍّ
غُيَّبٌ للعيان ! فى القَلب حُضَّر !

تُشْعِل النَّارَ فى قلوب الْمذاكى
وتؤجِّجُ الرجالَ ناراً تَسَعَّرْ

قُوَّةٌ من جوانب العَرش هبَّتْ
ذاب من بَأْسها الحَديدُ المشَهَّرْ

. . . .

و(بِلالٌ) يَلْقَى (أُمَيَّةَ) غَضبا —
نَ . . فيَشفى الغليلَ منه ويثأَرْ

أَمسِ .. كمْ حُمِّلَ الصخورَ الذَّوَاكى

مِن لَهِيبِ الرَّمضاء تَغْلِى وَتَسعَرْ

ضَجَّ من هَوْلِهـا الأَذانُ ! وكادَتْ

تَتهاوَى لَهَا أَوَاسى المِنبَرْ

وهُوَ اليَوم قاذِفٌ صخْرَةَ الموْ—

تِ .. عليْه تَهوِى .. فترْدِى .. وتقبُرُ!

و (أبوجَهْلَ) جَندَلَتهُ قَنَــاةٌ

فهَوَى تَحتَ جَندل البيدِ يَزْخَرْ

وَقفَ الـكُفْرُ فَوقَه يندُبُ الـكُفْـ

ـرَ ! وَيهذِى عَلى الرُّفَاتِ وَيهذِر

ياعَدُوَّ الإِسلامِ! خُذْها مِن الإِسـ

ـلامِ . . رَدتْكَ كالقَنَا المتكَسِّر

طَعْنَةٌ مِن (مُعاذَ) أَخرَس فُوها

فَاكَ . . بعد ما كُنتَ تَنْهَى وتأْمُرْ

لَـكَأَنِّى بعظْمكَ الآنَ يَصطَكُّ—

ويغْلِى من الأَسَى والتَحسُّر

وشَظايا اللِّسانِ نَدمانَةً كا —
دَت لنُور الهُدَى حَنيناً تُـكَبِّر !

. . . .

تمرات في كفّ أعزلَ ، جَوْعا ـ
نَ ، هضيمٍ بين الوَغى متمثّر
عَرَبىّ مِن شيعةِ الله وانٍ
عَن صراعِ الهيجاءِ — حُزناً — تأخّر
حينما شاهَدَ النبىَّ تلظّتْ
جَمرَةُ النَّصرِ فى حَشاهُ المفتّر
سلَّ مِن رُوحِهِ حُساماً ! . . . إسْـ
ـلامه فى مسَابِح الرَّوْعِ خِنجر
هكذا نَجدَةُ السماءِ أحالَت
واهِنَ الجِسم كالعَتىِّ المدمِّر !
فإذا النصرُ صيْحَةٌ هزَّت الدُّنْـ
يا اوراءَت بُروجَ (كسرَى) و(قيْصر) !
وإذا (بَدْرُ) خفْقَةٌ فى لسانِ الشَّـ
ـرْق يُزهَى عَلَى صَداها وَيفخَر !

أنا شاعر الوادي .. وعزّاف للظى !!

« ألقيت فى ظلال المنصورة يوم احتفالها بصاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا أثناء رحلته السياسية فى ٢٧ مارس سنة ١٩٣٧ »

لمحتْ ركابكَ — يا مُظفَّر — مثلما
لمَح الحجيجُ بظلِّ «مكّة» زَمْزما

فأتتكَ حاشدةً . تكادُ سماؤُها
تهتزُّ فوقكَ فرحةً وتبسُّما

بلدُ الهوَى والسِّحرِ .. هزَّ ملاحنى
فهفوتُ نحوَ ظلالِهِ مُترنِّما

كادتْ مباهجُها تنسِّى خافقى
سحْرَ الصعيد ، وما أفاضَ وألهما

قد كنتُ أحسبُها خميلةَ شاعرٍ
شدَهَ الربيعُ خيالهُ فترنّما

فإذا بهـــا للحقِّ ثورةُ ثائرٍ
نسخَ النسيمَ على الضَّلالِ جهنَّما

بالأمس لاذَ بظلِّها متجبِّرٌ
ضاقتْ به الدُّنيا فثارَ ودمْدَما

صَلَفُ الزعامَة غرَّهَ ! فمشى بها
يُرْغي ويزْبدَ فوق شُطْآنِ الحِمَى

زعَمَ المواطنَ كلَّها أجنادَهُ
ولو استطاعَ على الوَرَى لتزَّعما

مَعْبودُ قَوْم . . كلها نادَى بهم
سجَدُوا لديْه ضَلالةً وتأثُّما

آبِيسُ ! والأصنامُ أقدسُ حُرْمةً
منه . . وأوْهنُ في العبادَة مَأْثَما

دِينُ الحِجَارَةُ صامتٌ ! لكنَّهُ
طلبَ الصَّلاة لنفْسِه مُتَكلِّما !

ووراءَه « الثُّعبانُ » ينفثُ كَيْدَهُ
سُمًّا على مُهَجِ العبادِ وعَلْقَما

لوْ أنَّ حِيلتَهُ تُرَى .. لشِهدْتَها
تَنسابُ فى شطِّ الكنانةِ أرْقَمَا
لكنَّها طىَّ اللِّسانِ تَقمَّصَتْ
سَجْعاً على زَبد الشِّفاه منظَّما ..
يتشاكَيانِ الهم .. وهْوَ سحائبٌ
تَرَكا دُجاها فى البلاد مُخيِّما
ناحَا على « الدُّستور » نَوْحَ أجيرة
وصحائفُ الدُّستور تَبْرأُ منهما
كم أسقَياه الذُّل ! كم عَصفَا بهِ
يَوْم استَجارا بالغريب تَجَرُّما
حَشَدَا له القُمصانَ .. صبْغ سُتُورها
نَسَبٌ لشُؤْمِهما تَعلَّقَ وانتَمى
زُرْق تخَال على الحِمَى أشْباحَهُمْ
رَخماً على جِيفَ القُبور مُهَوِّمَا
أسْطورَةٌ للبطش طال حَديثها
حتى غدا فى القَوْم لُغزًا مُبْهما

كم عانَدا فى حلِّها . . مَنْ لو مَضَى
بشهاب عَزْمَتِهِ لدَكَّ الأَنْجُمَا

«فاروقُ» ! والهرَمُ المُدِلُّ ببطشِهِ
لولا مَهابَتُه لخرَّ مُسَلِّما

ما كاد يُشرِقُ نورُه ، حتى سرَى
فمحَا بهالتِهِ القَتامَ المظْلِما !

قُلْ للزعامةِ بعدَ ما أوْدَى بها
عَضُّ الأَنامل حَسْرةً وتَندُّما :

أَيْنَ الرفاقُ ؟ ألا فَنُوحِى بعدَهم
قدْ صار عُرْسُكِ يا كَئيبةُ مَأْتَما

وَعظُوكِ ! حتى صَمَّ سَمْعُكِ عنهمُ
تركوكِ ثاكِلةَ السواعِدِ ! أَيِّما !

أَصْبَحتِ فى التاريخ دمْعةَ ظالمٍ
نارُ العَدالة أَوسَعَتْه تضَرُّما

تركُوكِ حتى صار ـ فرْطَ ضَلالةٍ ـ
صنمُ القَداسةِ فى حِماكِ مُهَشَّما

فضحوا مساوئَك الغداةَ، وكشَّفوا
ما غلَّف الخاوى الضَّلول وَطلْسَما

هذا حِمَى «المنصورَة» انصدَعَت به
آساسُ معقلكِ الْقديمِ فحُطِّما

بَلد الفِدا والتضْحِياتِ . . أَنَى لها
شرَفُ الْكرامةِ أنْ تُقادَ وتُرْغَما

«دارُ[1] ابن لقْمانٍ» ودارةُ حِصنِها
ودّتْ مدارجَ سِجْنِها لكِ سُلَّما

نَبذَتكِ نبْذَ الرِّيح ذابَلة السَّفا
ودَعتْ عليكِ تسخُّطًا وتبرُّما

وشَبابُها تركَ الضَّلالَ وعافَهُ
فغدَا مَسيرُكَ فى ثَرَاهُ محرَّما

قد لاذ «بالملكِ» الذى برحابهِ
الجيلُ، والنيلُ الْعتيدُ قدْ احتمَى !

---

(١) معقل قديم بالمنصورة سجن به أحد الغُزاة الفرنسيس .

«فارُوقُ»! من جَملَ المواطنَ حبهُ
قلباً عليه مِنَ الولاءِ مُحَوّما
سرْ يا «محمدُ» فى وَريفِ ظلاله
فهوَ المنَارَةُ كُلَّما عشِىَ الحِمى
واستَوحِ منهُ الحقَّ .. إن بكَفِّه
وبطرفه بحرُ العَدالةِ قدْ طمَى
زُرْتَ الصعيدَ .. فكانَ ركبكَ مُهجةً
والشعبُ يجرى فى لفائفها دَما
وعطفْتَ بالدِّلتا .. فكادَ نخيلهُا
يجثُو لديْكَ محيياً ومُسَلِماً
ومساحُ الرياحِ أصبحَ موَجْهُا
يدْعُو لرَكبكَ فى الشُّطوطِ مُغَمْغِما
والسَّنْبل المفتونُ يرقُصُ فرحةً
و «السَّرْو» يبدوُ فى الخشوعِ متيَّماً
دُنياً من الأفْراحِ يخفُقُ بشْرُها
أنَّى حللتَ منَ الدِّيار ، وأينما ..

فأقمْ بظلِّ العرْش أرْسَخَ دَولةٍ
في النيـل طابَ زمانُها وتنعَّما

واسمعْ نشيدَ الشِّعرِ ! فهو مشاعرٌ
فاض الولاءُ بها فهاجَ ورَنَّما

أنا شاعرُ الوادي ! وعَزَّافُ اللظَى
إمَّا شهدتُ جَنانَهُ متألِّمًا !

أهْدِي العُطورَ لمنْ يفي لبلادِهِ
وأسوق للطّاغي الخؤُون جهنَّمًا !

لاموا عَلَىَّ الشَّدْوَ ! قلتُ رُوَيدكُمْ !
منْ ذا يلومُ العبْقريَّ الملْهَمَا ؟

غيري يسُوقُ الشِّعرَ فضْلَ بلاغةٍ ...
وأنا أُفَجِّر في مَنابعِه الدماَ ! !



لم يَطِبْ للنّبوغ فيكِ مُقامُ ..

لحن حزين هزته ذكرى الأديب العربي

الخالد « مصطفى صادق الرافعي »

لمْ يطِبْ للنُّبوغ فيكِ مُقامُ ..
لا عَليكِ ـ الْغَداةَ ـ منِّي سلامُ !

المنارَاتُ تَنطفي بَينَ كفَّيْـ
ـكِ ! وَيزْهو بشاطئيْكِ الظلامُ

والصَّدَى مِنْ مَناقر الْبُومِ يَحيا
ويموتُ النَّشـيدُ والإلهامُ

قد حبوْتِ النعيبَ ظلَّكِ . لـكنْ
أينَ قرَّتْ بشَطكِ الأنغامُ ؟

في هَجير الايام تَمضى أغانيـ
ـكِ حيَارَى ، يؤُجُّ فيها الضِّرامُ

عَبرتْ مَسْبحَ الجداوُل ، والنَّهْـ
ـرَ ، وغابتْ كأنَّها أوْهامُ

تَسْكبُ السِّحْرَ مِنْ شفاهٍ .. علَيْها
مَضْرَعُ السحْرِ : لَهفةٌ ! وأُوامُ !
تَسكبُ العطرَ والخمائلُ صُفْرٌ
ماتَ فى الأيْكِ نَوْرُها البسَّامُ !
تسكبُ البُرْءَ منْ جِراحٍ .. عليها
تُرْعِشُ العمْرَ شَكْوَةٌ وسَقامُ !
أنتِ يا (مصرُ) : واصفحى إنْ تعتَّبْـ
ـتُ وأشجاكِ منْ نشيدى الملامُ ..
.. قدْ رعَيتِ الجميلَ فى كل شىءٍ
غيرَ ما أحسنَتْ بهِ الأقلامُ !
منْ رَوابيكِ خفَّ للخُلدِ رُوحٌ
قد نماهُ لعَصركِ الإسلامُ
لبِسَتْ بعدَهُ العُروبَةُ ثوباً
صِبغُ أستارهِ أسًى وقتامُ
لم تُفِقْ منْ شُجونِها فيهِ (بَغْدا
دُ) ! ولا صابرتْ أساها (الشَّآمُ)

وعَلَى (بلدة المُعزِّ) دموعٌ
خَلَّدتْ ذكرَهُ بهـا الأهرامُ
صاحِبُ المعْجزاتِ أعْيَتْ حِجا الدُّنْـ
ـيا ، وعيَّتْ عَنْ كشفِها الأفْهامُ
يَخْبأ الحِـكمَةَ الخَفيَّةَ فى الوَحْـ
ـى كما تَخْبأ الشَّذَى الأنسامُ
ويزُفُّ البيانَ كالسَّلسل المسْـ
ـكوب تَهفو بشَطِّه الأحلامُ
فإذا رَقَّ خلتَه قُبَـلَ الفجْـ
ـر على نارها يَلذُّ المنَامُ
أو حديثَ النَّسيم للزَّهْرة السَّكْـ
ـرَى . . منَ الطَّلِّ كأسُها والمُدامُ
أو حَفيفَ السَّنابلِ الخُضْر . . رفَّتْ
فى رُباها قَنـابرٌ ويَمامُ
أو دُعاءَ النُّساك . . أبْلَت صَداهمُ
فى حِمَى الله سَكْـرةٌ وهُيامُ

وإذا ثارَ خِلتَهُ شُهُبَ اللَّيْـ
ـلِ أطارَتْ لَهيبَهـا الأجْرامُ

أو شُواظًا مسطَّرًا . . قَذفَته
منْ لظَى العَقل هيْجَةٌ وعُرامُ

أتْعبَ الجاهدينَ خَلفَ مَراميـ
ـهِ بقَصْدٍ مَنالُهُ لا يُرامُ

أصْيَدُ الفِكْر والبراعةِ والوَحْـ
ـيِ . . عَلَى كِبْرِهِ يُفلُّ الحُسامُ

حَيَّرَ النقدَ أنْ تَروغَ المعانى
عَنْ مُريديهِ ، أوْ تَنِدَّ السِّهامُ

فانْزَوَى الحاسدُون . . إلا فضولاً
لا يُداريهِ عائبٌ شتَّامُ

قد سقاهُم من سنِّهِ مَصرَعَ الرُّو
حِ وإنْ لمْ تلاقِهِ الأَجسامُ

فلتَقُمْ بعد مَوتِهِ ثورَةُ الشَّا
نِى .. فقَدْ فارَقَ الوَغَى الصَّمْصام

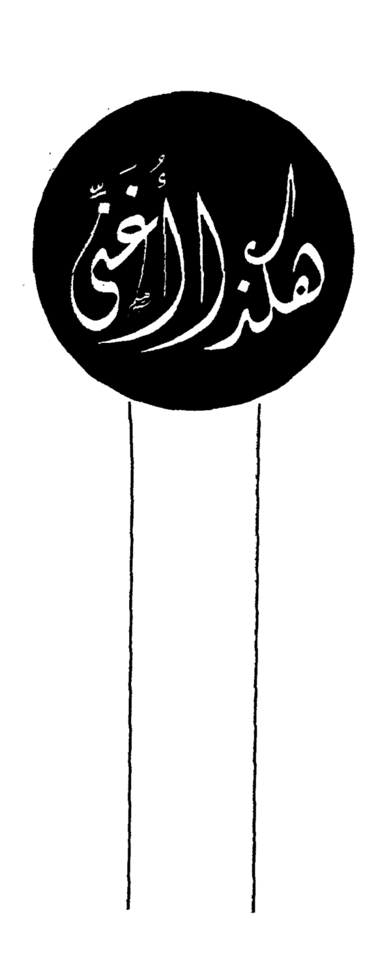
ولهُ الشّـأنُ .. عزّةٌ وَخُلودٌ !
ولهُمْ شأنهُمْ صدَى وكلامُ ..
إيهِ يا ساقِيَ « المساكين » كأساً
لمْ تُسَلسِلْ رَحيقَها الأيّامُ
قد جَعلْتَ الآلامَ وَحْيكَ حتّى
فجّرتْ نَبْعَها لكَ الآلامُ
ما الذى كانَ فى سَحابتكَ الحمْـ
ـراءِ إلاّ الشّجونُ والأسقامُ !
كُنتَ فى عزْلةٍ معَ الوَحْى تَشْـكو
ولشكواكِ كاد يبْـكى الغَمامُ
تمسَحُ الدمْعَ من عُيونِ اليتامَى
وبِنَلْواكَ ينشِجُ الأيتامُ
صُنْتَ عهدَ البَيانِ لمْ تُرْخصِ القوْ
لَ ، وَلا شابَ سِحْرَكَ الإعجامُ
وتفرّدْتَ بالصِّياغةِ . . حتى
قيلَ فى عالَم البيانِ : إمامُ !

ووَهبْتَ (الفرْقانَ) قلبكَ . . حتى
فاضَ منْ قُدْسِهِ لكَ الإلهامُ
فبعثْتَ الإعجازَ كالشَّمسْ منه
يتَهدَّى على سَناهُ الأنامُ
فقُمْ اليوْمَ! وانظرْ الشرْقَ : ضاعتْ
منْ يَديهِ مَواثقٌ وذِمامُ
مَزَّقتْ قلبَهُ الذِّئابُ من الفتْـ
ـكِ . . ونامَ الرُّعاةُ والأغنامُ !
فى (فِلَسْطين) لو علمتَ جِراح
ما لهَا فى يَد الطُّغاةِ الْتِئامُ
وَطنُ الوَحْى، والنُّبُوَّاتِ ، والإلْهـ
ـامِ . . أوْدَى ! فعاثَ فيهِ الطَّغامُ
جَذْوَةٌ فى جَوانحِ الشرْقِ تَغْلى
فيَروعُ السَّماءَ منْها اضْطرامُ
يُذْبَحُ القوْمُ فى المجازرِ — فرطَ الظُّـ
ـلْمِ فيها — كأنَّهم أنْعَامُ

وبُهانُ (المسيحُ) فى موْطن القُدْ
س ، ويشْقَى بأرضِهِ الإسلامُ
وحُماةُ البيَانِ خُرسٌ . كأَنَّ الذَّ
وْدَ عنْ كعْبةِ الجُدودِ حَرامُ ! !
إيهِ يا «مُصطفَى» وفى الْقلب شُجو
نٌ ! وفى الصَّدرِ حُرقةٌ وضرامُ
ليتَ لى سَمْعكَ الذى كرَّمَ اللّـ
ـهُ صَداهُ ! فماتَ فيه الكلامُ
كنتَ والوَحْىَ عاشِقَيْن . . فماذا
بعْدَ نجْوَى السَّماءِ يبغى الغَرامُ ؟
كُنتَ والوَحىَ فى سكون نَبِىٍّ
عادَهُ فى صَلاته إلْهامُ
تتلقَّاهُ خاشعَ الهَمْس عَفًّا
مثْلَما رَفَّ بالغَدير حَمامُ
لاضَجيجٌ ! ولا اصْطخابٌ ! ولـكنْ
هَدأةُ الرُّوح قدْ جَلاها المنامُ

هكذا نَعْشكَ الطَّهورُ . تَهادى
كالأَماني ، لاضَجَّةٌ ! لا زِحامُ !
فاذْهَبْ اليومَ للخلودِ كما كُنْـ
ـتَ . . تُغاديكَ هَدْأةٌ وسلامُ
لمْ يَمُتْ من طواهُ في قلبه الشَّر
قُ ! وغَنَّى بذِكرِهِ الإِسلامُ !




هكذا أُغَنِّي

الى ملهمتي الخالدة . . .

لقد أشعلت روحي بلهيبك المقدس ، ثم أخفيت نورك عني وراء الغيوب وتركتني أرشف الالهام من جذوة لا يهدأ سعيرها حتى تعودي الي . . .

ولعل نغمة واحدة من رجع هذا الأنين ، تغريك بالعودة الى جدولنا العزيز . . حيث الظلال الشاعرة . . والجمال العبقري . والحب العالي عن مسارح الادميين ! !

وَطَنُ الفأْسِ

« ظلت القرية المصرية إلى عهد قريب منبوذة عن الفنون القومية وبخاصة الأدب ، فلقد انحرف عنها سمته ، ولم يتنفس له أثر بأسرارها الفنية المخبوءة ، حتى على يد أكبر الأدباء والشعراء فى (مصر) ذيوعا وشهرة . . إما لصلف فى الأقلام أغرتها به نزعة التحضر ومصانعة المدنيــة العصرية الزائفة حرصا على مسايرة أذواق الجماهير . . وإما لموات الاحساس الفنى الصادق الذى يتجاوب مع البيئة ويترجم عن أثرها فيه . . وإما لهما مجتمعين ! . وقد كان للشاعر بحكم الوضع والمنزع اللذين هيأتهما له الطبيعة المصرية بتفتح روحه على شطها الرائع الحزين ، أن تكون بواكير ألحانه فى التغنى بسحرها وأن تظل إلى اليوم الملهمة الثانيــة لأناشيده . . فما كاد يظهر ديوانه القروى الأول (أغانى الــكوخ) فى مستهل عام ١٩٣٥ م . حتى خف أنصار هذا الاتجاه الجديد فى الأدب إلى إقامة حفل تكريمى له يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٥ م. وقد كانت هذه القصيدة لحن الشاعر فى هذا الاحتفال »

فى الضُّحَى ، والشعاعُ جاثٍ على النيـ
ـلِ ، كما خرَّ ساجدٌ فى صلاتِهْ
والرَّياحينُ ناهلاتٌ من الطَّـ
ـلِّ رحيقَ الصهباء من قطراتِهْ

خمرةً سلسَلَ الضياء طِلاها
فجرَتْ كوثراً على ربواتِه
عربَدَ الزّهرُ من شذاها فأفشَى
سرَّ جناتِه على نفَحاتِهْ !
والفرَاشُ الوديعُ يَسْبحُ فى الأيْـ
ـك ، ويحسُو العبيرَ من زَهَراتِهْ
ومن الطيْر سَجْعَةٌ ورنينٌ
ومن النَّحْل زَفَّةٌ فِى رَبَاتِهْ
وهُنا هُدْهدٌ تولَّع فى الحقْـ
ـلِ بظلٍّ يفىء من نَخَلاتِهْ
فيلسوفٌ أضاع حكمتَهُ الدهْـ
ـرُ فرام الرّشاد من نقَرَاتِهْ !
وقَصادٌ يَزِقُّ فى صَحْوَة النُّـ
ـورِ ، فيُحْيِى الربيعَ فى خَطَرَاتِهْ
فتنَتَهْ من القنـــابر عذْرَ ـــ
ـاء ، فهـاج الدّفينُ من صبَوَاتِهْ

والعصافيرُ شادياتٌ على الدَّوْ
ح ، تُناغي بشَدْوِها شَجَرَاتِهْ

جَنَّةٌ نَضْرَةَ الخمائل في الرِّيـ
ـفِ ، نَماها مُعَذَّبٌ في حياتِهْ

ناسكٌ في الحقول ، هَيْمانَ بالأرْ
ضِ ، يُجلِّي بِتُرْبِها دَعَواتِهْ

حملَتْ فأسُهُ من الغيْبِ سرًّا
حيَّر العقلَ كامنٌ مِنْ صِفاتِهْ

حَطبٌ يابسٌ يَمُرُّ على الصَّخْـ
ـرِ ، فتزْهو الوُرود في جَنَباتِهْ !

رَصَدٌ في الحديد ، لو أنَّ «هارو –
تَ » رَقاهُ لضَلَّ في قَسَماتِهْ !

حكمة تَبْهرُ النُّهى حطَّمَ العِلْـ
ـمُ لديْها العظيمَ من مُعْجزاتِهْ

لوْ رنا المُلحِدُ العنيد إليها
وهْوَ جَمُّ الضَّلالِ من نزَغاتِهْ ،

رَجَمتْ غيَّهُ ، وكادت — جلالاً —
تسكبُ الرشدَ والهدى من لَهاته !

جَنَّةٌ ، بَرَّةُ الأفانين ، لفَّـ
ـاءُ ، غاها معذَّبٌ فى حياته

شاعرٌ فى الضحى يُغَنى فتُصْغى
كلُّ سَوْسانة على رابياتِه

سَرَق الطيرُ شدْوَه حين فاضَتْ
خَلَجاتُ الإيمانِ من أُغنياتِه

وبكَى النبتُ شجْوَه حين غنَّى
وأذاع الشجونَ فى نَبَراتِه

هل رأيتَ النَّدَى مدامعَ زَهرٍ
قِضْنَ من رقَّةٍ على وَجَناتِه ؟

أتُواسيه فى الضَّنَى نبتةُ الحَقْـ
ـلِ ، ويُغضى الانسان عن حسَراتِه ؟

تلكَ أعجوبَةُ الوفاءِ ! فيا ويْـ
ـحَ لشعب يهيم فى غفَلاتِه !

والسَّوَاقِى مُفَجَّعَـاتٌ عليه
نائحـاتٌ تُرِيقُ من عبَرَاتِه
عندها الثَّوْرُ قيَّدَتْهُ يدُ الظُّلْـ
ـمِ . وهذا حليفُه فى سِماتِهْ !
والشَّواديف كم أَرَنَّتْ بأذْنَيْـ
ـهِ ، وصاحت تئنُّ فى مَزْرَعاتِهْ !
شهدَتْ شَمْلَةً عليـه تحاكى
كفناً مُزِقتْ بوالى رُفاتِه
صَبَّغَ الحظُّ لونَها بسوادٍ
من أسًى نحسه ، ومن عثَراتِهْ
نِصْفُ عُرْيانَ ! لوسرَى نَسَمُ الفَجْـ
ـرِ عليها تطير من خفَقاتِهْ
عبَسَت والضِّياءُ مُبتَلِجُ اللمْـ
ـحِ عبس الحقولُ فى هالاتِهْ
فحكَتْ خَطْرَةً من الهمِّ رانَتْ
فى ضمـير الضُّحى على قنوَاتِهْ !

يابسُ الكفِّ من عَناءٍ وبَرْحٍ
شقّقَ الكدُّ بالضّنَى أَعْمُلاتِه

وهْوَ إن مَسَّ زهرةً لم تفتَّحْ ،
نفَحَتْ عطرَها على راحاتهْ ؟

كم صَبا السُّنْبلُ الحبيبُ إليهِ
ساكباً بين راحتِهِ قُبُلاتهْ

وهفَتْ نوْرةٌ من الفُول بيْضَ
اءُ كطيْفِ الإيمان فى صلَواتِه

عشِقَ الزَّهرُ كفهُ فتمنَّى
خُلْدَ أطرافها على وَرَقاتهْ !

***

إيه يا جنّتى ! لقد صدح النّا
ىُ ، وروحى تفيض من نفثاتهْ

شفَّنى فى جمالكِ قومٌ حيارَى ،
ندَبوا نحسَهم على صفَحاتِهْ

نضَّروا غرْسَكِ الرطيبَ ، وناموا ،
فعـدا غاصِبٌ على ثَمَرا تِهْ
قطفَ اليانع الشَّهِى ، وألقَى
لبَنِيكِ الجياعِ ، فَضْلَ فُتَاتِهْ !
إِيه يا كوخى الحبيب ! ألا تَسْـ
ـمعُ شَدْواً سكرْتُ من صَدَحاتِه ؟
غَزَلٌ المُروج عَفُّ الأمانى
عبقرىٌّ فَنيتُ فى نغماته
ودَّتْ الغيدُ لو تـكلَّلْنَ منهُ
رَشفْن الغَرام من سَجَعاتِهْ
حَسدَ القَصرُ لحنَـه ، وتمنَّى
خَفْقةً للبروج من أبيـاتِهْ
قد غَنِمت السُّرَى إلى الخُلْد منه
وَوُهِبْتَ العَزاءَ من أُغنياتِهْ !



مِنْ لَهيبِ الحِرْمَانْ ..

« أسدل المحراب أستاره فنفث
العابد هذه الخفقات »

أَسْدَلَتْ سِتْرَها ! وقالتْ : رُوَيْداً
عابدَ الحسن ، واتَّئدْ في صَلاتِكْ
غِبْ قليلاً عن العُيون ، وأَنْشِدْ
خفقاتِ الغَرامِ في خَلَواتِكْ
إنَّ هَمْساً يرفُّ في ساحة المعْبَد
— أخشَى ذيوعَه من وُشاتِكْ !
غِبْ قليلاً وفي دَمي لك عهدٌ
أنا .. والحبُّ .. والمنَى .. لحياتِكْ
خمرتي شِعرُكَ المفيفُ ، ويا طهْرِي
— إذا ما انتشَيْتُ من كاساتِكْ !

وجلالُ الهوَى ، وقُدْسُ جمالى
خفقاتٌ صدَحْنَ من أغنياتِكْ

رِىٌّ رُوحى إذا ظمئتُ خيالٌ
مُستطارٌ يرِنُّ من أبياتِكْ

فترنَّمْ ! فإنَّ روحىَ تُصغِى
خلْفَ أستارِها إلى نغماتِكْ !

* * *

قلتُ : والنارُ فى دمى كيف تَهْدا
إنْ حجبْتِ الضياءَ من قسماتِكْ ؟

إنَّ زادى من الحياة وميضٌ
رشفَتْهُ العيونُ من بَسَماتِكْ

فتِنْتى إنْ رَنَوْتِ موْجةُ نورٍ
أشْرقتْ فى الجَنانِ من نَظَراتِكْ ،

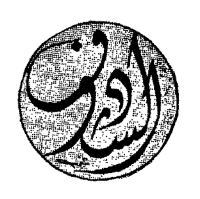
كم طغَى البؤسُ عابثًا بشبابى
فقبَسْتُ النّعيمَ من وَجناتِكْ ،

وتوجَّمْتُ . . فانتحَبْتِ لشَجْوى
وسكبتِ الهناء من قُبُلاتِكْ !
كيفَ أحيا ، وفى دمى تُقلق الرُّو
حَ نواز مفجمات فواتِكْ ؟
أنا لَهْفانُ ! والنعيمُ بكَفَّيْكِ
— دعينى أمُتْ على عتَباتكْ
قالتْ : اهدأ ! فما عهدتُكَ يوماً
تستثير النَّوى دفينَ شكاتكْ
كم غزا البَيْنُ قُرْبَنا فتصبَّرْ —
تَ ورُمْتَ السلْوان من ذكْرَياتكْ !
قلتُ : يا لَوْعتا لظمآنَ جُنَّتْ
رُوحُه لهفةً على رَشَفاتكْ !
كم وقفنا حِيال قَصرك نبكى
وخلَسْنا الغَرامَ من شُرُفاتكْ !
وشدَوْنا الهوَى ملاحنَ سحْرٍ
رقْرَق النُّورُ طيفَها من سِماتِكْ

وشكوْنا النَّوَى ، فكاد يطير الْـ
حُسْنُ فرط الحنان من غرفاتِكْ
آه يا زهرتى ! لقد شفَّ روحى
ظَمَأٌ محْرِقٌ إلى نفَحاتِكْ
فارفعى السِّتْرَ بيننا ، ودعينى
أتحسَّى الضياءَ من هالاتكْ
رُبَّ ومْضٍ من لحظ عينيك ساجٍ
فجَّر الوَحْىَ من سنا لمحاتكْ
نهلتْهُ عيناىَ فانساب شِعراً
عبقريًا يفيضُ من نَظَراتكْ !

. . . .

وهُنا أُسدِلَ السِّتار ! وَرَنَّتْ
خفْقةٌ : لهفَتا على أُمْنياتِكْ !



دعْ لَحْنكَ الشَّادِي بلا تَعزيف ..

طرب الخَيالُ لِأنَّةِ (الشَّادوفِ)

عُرْيانُ جرَّدهُ الضحَى من سِتره

فغَدا يضِجُّ بدَمعهِ المَذْروفِ

لمْ يُرضهِ ثَوْبُ السَّنا سِدْلاً له

يَختالُ في بَهَجٍ ولَمْحٍ شفُوفِ

فبكَى ونكَّسَ رأسَهُ متَذلِّلاً

مُتحسِّراً كالعاشق الملهوفِ

فإذا تقاعسَ خلْتَهُ في صمْتهِ

جُثمانَ مَصْلوبٍ بغَيرِ كفُوفِ

بَترَتْ سواعِدَهُ الليالى ، وانبرَتْ
تُبليه فى سَخَطٍ وفى تَعْنيفِ
وإذا جثا ألفيتَهُ متعبِّداً
طَهُرَتْ سرائرهُ مِنَ التَّزييفِ
سَجَداتهُ فى النَّبْعِ قُبْلةُ وَالهٍ
طُبِعتْ على سَلْسَالهِ المرشوفِ
صَدْيانُ قَدَّمَ للورود شرابَهُ
وأعار أدمعَه لقلب الرِّيفِ
فيظَلُّ يظمأ عارياً ، والزَّهرُ فى
رِىٍّ ، ونبْتُ الحقل فى تفويفِ
ثاوٍ عَلَى الْجُبِّ العميق كأنَّهُ
أعْمَى على جُرُفٍ هنالكِ مُوفِ
جبَّارُ أفزعَهُ الرَّدى ، فتقلَّصَتْ
أضلاعُهُ مِنْ صَرْعةِ التَّخْويفِ
فَتخالهُ فِى الْوَهْمِ جُثَّةَ مَارِدٍ
ضجِرَتْ لهوْلٍ فى القُبور مُخيفِ

فأعارتْ الأكفانَ ثوره حانق
برمتْ بحتفٍ فارتمتْ بحتوفِ!

يا صامتاً والريحُ تخفقُ حوله
والنبتُ يطربُهُ بسجْعِ حفيفِهِ

وتصايُحُ الغِرْبانِ يُنذِر مرْجهُ
بحصيدِ سافيةٍ، وجدْبِ خريفِ!

وربابةُ الرَّاعى تُهدْهدُ عندهُ
قلباً يهيم بلحْنها المعزوفِ

سكرى من الأنغام أسكرَ شدْوُها
آذانَ ثاغيةٍ. وسمعَ خروفِ..

هلاَّ شجتكَ نفاثةٌ مِنْ بائس..
لهفانَ فى كنفِ الطَّوى ملفوفِ

روَّى الزُّروع بصيِّبٍ منْ دمعه
وثوى بقلبٍ فى الظَّلامِ لهيفِ!



دمعة فى قلب الليل

فَزِعتْ للظَّلام رُوحى كما يَفْـــــزَعُ أعْشى لومضَةٍ من ضياءِ
فحبَسْتُ الخيالَ حتى إذا ما ضجّ فى خاطرى من البُرَحاءِ
هربَتْ أدمعى إلى ساحة اللَّيْـــــل تهاوَى فى الدُّجْيَة الظلماءِ
ما لهـا فى السَّنا مَلاذٌ ولا فى فَجَّة النُّور خفقَةٌ من رجاءِ
ساقها فى الظّلام حادٍ من الهَمِّ بلا رَيْثَةٍ ولا إبطاءِ
مُسْتَحثُّ الخطى، حَدوب على القــــلب يزجّيه فى رحاب الفضاءِ
فى عُباب الدّجى يَهيم بَسراهُ فتُضْويه غيْبةُ الميناءِ
لَيْتَ مَلاَّحىَ الضَّلولَ هَدَتْهُ بارقاتُ الهدى لشطّ الفناءِ
طال فى الليل سبحُهُ وهو حيرانُ شجَتْه مضاضةُ الإعياءِ
وطحَتْ بالشِّراع هبّاتُ ريحٍ عاصفاتٌ من زَعزَعٍ نكباءِ
إيهِ يا ليـل قُدَّ لى من حَواشيــــكَ حجابا وناجنى فى خفاءِ
لاتُذِعْ شَجْوىَ الكئيب وَلاتكــــشِفْ دموعى لأعيُن الرُّقباءِ

ودَعِ النَّسْمةَ العليلَة تحسو من فَم الزهر بَلسماً للشِّفاءِ
ودعِ الـكونَ هاجعاً، ودعِ النّـا سَ نشاوَى فى غَمْرة النّعماءِ
خَلِّنى للدُّموع وحدى أُناجيـــها وحيداً فى العُزلة السوْداءِ
أنا من كأسها شربتُ صبياً خَمرةً سُلْسِلتْ من البأساءِ
عُصِرَتْ من مَطارف الألم الدَّا وى بقلبي وعُتِّقتْ فى دمائى
تَخذَت جامَها المحاجرَ والسّا قىَ هَمًّا يؤجُ فى أحشائى
هىَ أشهى إلى عيونى من النُّو ر، وأبهى من لمحة الأنداءِ
هات يا ليل قَطرهاَ فهى حَيْرَى كتَّمتْ بَرْحَها من الـكبرياءِ
سَبقتْ مطلعَ الندَى لكَ.. دعْها تهادَى للسُّحرَة الفيحاءِ
ربَّما أطلعَتْ بظِلِّكَ فَجْراً شعْشَعتْ منه هالة فى السّماءِ
رُبَّما روَّتْ الأزاهرَ فى المرْ ج فماستْ فى الربوة الغَنّاءِ
ربَّما فجَّرتْ بقلبك نَبْعاً وردُهُ مُنْيَةُ القلوب الظِّماءِ
هَمْسُها فى الجفون أصداء ناى بلغَتْ شدْوَهُ رياحُ المساءِ
مِزْهرٌ للعيون أوْتارُه الهُدْ بُ.. وأنغـامه رنين البكاءِ
صامتٌ فى الظَّلام ألهم قلبي من معانيه عبقرىَّ الغِناءِ
لامَنى فى هَواه خالٍ من الهـــمّ بليـد الفؤاد جَمُّ الغباءِ

رُدَّ عنّى ياليـل دعواه .. إنّى كِدْتُ من لَوْمه أحطِّم نائى
لُغَةُ الدمع فى سماءٍ من العصْـــمة عَزَّتْ مَشاعرَ الأغبياءِ
حَبَسَتْ وحيَها عن العقل إلاَّ حين تسمو مَلاحِن الشُّعَراءِ !

* * *

هات ياليْل من أغانيكَ واملأْ نغَمى بالخواطر الهوْجاء
أنا فى غارك المغلَّف بالظلْـــمَة أسيانُ مُثقـلٌ بالشقاء
حكمةٌ فى دُجاكَ أنـكرها العقـــلُ فلاذَتْ بالصمْت والإنزواء
سمعَتْ أرغُنَ الليالى فهامت من صداه بنغْمَةٍ خرساءِ
هَوَّمَتْ فى الفؤاد تُزْجيه للحَيــــرَةِ والسحر والأسى والعَناء
واسِ ياليل جُرحهَ فلقـد طا ل أساه برِبقَةِ الأدْواءِ
أنتَ بحرُ الحيـاة ياليل كم فيـــك أهاويلُ من صروف القضاء !
كم غريق بيمِّك الأسود الصَّا خب آدَتهُ صرْعةُ الأنواءِ
صفَعَتهُ عنيفةٌ من كفوف الدَّ هر فانحطَّ فى مهاوى البلاءِ
وسَبُوحٍ على متونكَ مَجدُو دٍ تَخطَّتْه هَيْجَةُ الدَّأماء :
قد ضممتَ الأكوان تحت جناحـــيْك سواءً فى جُنْح هذا العَماءِ
هُوَ ذا الكوخ رازحٌ تحت أثقا لِكَ وهُنانُ كالضَّرير المُساءِ

حالكٌ من سدْلك الكحيل غطاءً ... وارتمى جاثياً ببطْن العراءِ

عابرٌ في حماكَ شفَّتْ مطايا ... هُ شجونُ السُّرى وبرْحُ الحفاءِ

لم يجدْ راحماً يواسيه في البلـــوى ويُنسيه مضّةَ الإنضاء

فتغافى من الضنى ينشد الرحْـ ... ـمةَ والصفوَ في الخيال النائي

رجفتْ شمعة بجنبيه تهفو ... في دُجاه كالمُقلة العمشاء

خنقَ الليلُ نورَها خنقةَ البؤْ ... س لأرواح أهْلها التعساءِ

فرنتْ للقصور غيْرَى شجاها ... أخْيلٌ من لواحظ الكهرباءِ

سادرٌ في البروج كادَ من الفتْـــنةِ يرقى إلى بروج السَّماءِ

لقيَ الليلُ حتفَـــه حين وافا ... ه طريداً مُعرِّساً في الخلاءِ

فثوَى في التخوم كالهمِّ ألقى ... رحْلَهُ صوبَ هالةٍ من صفاءِ

ودنا الفجر في غلائله البيـــض شفيفَ الإهاب نضرَ الرُّواءِ

يسكبُ النورَ في العيون. ولكن ... أين للروح ومضةٌ من سناءِ؟!

أين فجرُ الجنان؟ يا فجرُ هدْهدْ ... نغماتي، ولا تضيِّعْ ندائي . . .

الشَّعرةُ الهاربةُ !!..

« لمحتها فجاءة على معصمي هاربة من ذوائب الملهمة فكانت وحي هذا النشيد »

مِنْ أيِّ تاجٍ طاهرِ المفْرِق ... أتيْتِ لي حيْرَى كقلبي الشقي؟
فارقتِ عرشَ النورِ في سُحْرةٍ ... اللهَ في موْكبها المُونق !
فَجْرٌ نَهَلْتُ الوَصلَ في ظِلِّه ... خمْراً لغيرِ الرُّوح لمْ تُخْلَق
أندى عَلَى قلبي من رَوْحِه ... ومن شذَى أنسامِهِ الرَّيِّق
مَقصُورةٌ مِن كَرْمةٍ في الرُّؤى ... رَيّا بغيرِ الطُّهرِ لم تَسْتَق
قبلَ انبثاقِ النُّورِ كانَتْ سَناً ... مُحَجَّبَ التَّلْماحِ والمشرِق
ونغمةً تشدو على صَوْنِهِ ... عُلْيا لغيرِ الحبِّ لم تَخْفِق !
يازَهْرةً كانتْ بوادِي الْهَوَى ... تَنْدَى على جدْوَله الرَّيِّق
شَرابُها النُّورُ إذا ما ارْتَوَتْ ... مِنْ هالةٍ سِحْريةِ الرَّوْنَق..
لمَّا احْتوانا الوَجدُ في ساعِدٍ ... وضمَّنا الحبُّ على مِرْفَقِ؛
كُنَّا سَعيراً خالداً في الهوَى ... فكيف في نجْواهُ لم تُحرَقِ ؟!

عَاهِلُ الرِّيف !

[الثَّوْر]

فى جَوقةٍ للرِّيفِ يعزفُ عُودُها

ويَرِنُّ فى سَمْعِ الضُّحى تغرِيدُها

قَبَسَتْ من الأطيار رِقَّةَ شَدْوِها

وأعارها سِحْرَ الصَّدَى غِرِّيدُها

وترنَّمتْ بين الحُقول قَصيدةً

عَذراءَ من نغَم السماءِ نشيدُها

تشدو فيُصغى الصَّمْتُ من وَلعٍ بها

ويكاد من طربِ السُّكون يُعيدُها

ثاوٍ هُنالك كَبَّلَتْهُ يدُ الأسَى

وَثَنَتْه عن عبَث المِراح قُيودُها

شيْخٌ أصمُّ تكَنَّفتْ أطرافَهُ

سَوْداءُ من صُلْبِ الزَّمان حَديدُها

أحكامُ ذلٍّ لُحْنَ فوْق جبينِه
سُوداً تـكتَّمَ بالسِّياط وَعيدُها

سَجنَتْهُ في رحْب الفَضاء ، وَخلَّدَتْ
آذانَه رَهَنَ الحبال جُدودُها

عُـكَّازُهُ سوْطٌ تلهَّبَ فوقه
ناراً يَشُبُّ على حَشاه وَقودُها

رقَمتْ على أضلاعه أسْطورةً
دُفِنتْ بأسرار الدهور عُهودُها

أسْطارُ مَظْلمةٍ !! وآية ذِلَّةٍ !!
أعْيا فلاسفةَ الوَرى تَرْديدُها

لو أُلهِمَتْ سحرَ البيان لمَا شَدا
إلا بفلسفة السِّياط قَصيدُها !

* * *

صَرَخَتْ نواعيرُ الرُّبى لإسارهِ
وتفجَّعَت أسفاً عليـه كُبودُها

فانسابَ فَيْضُ عيونها ، وتفجَّرَتْ
دمْعاً من البلوى لَديْه مُهودُها
عجَباً لنائحةٍ عليــــه !! لو انَّها
تبكى لصُمِّ الصخرْ ذاب جَليدُها
وهِيَ الَّتى ألقتْهُ فى كنفِ الضَنَى
ورماه فى العَدَم المهين وُجودُها !

* * *

عَيْناهُ غُلِّقَتا فمات سناهُما
فى ضَحْوَةٍ رَفَّتْ عليه بُرودُها
وأزاهرُ البُستان تَرْنو حوْله
مُتفَتِّحاً يحسو الضِّيا أُمْلودُها
من نُورهِ المكبوت أشرق نوْرُها
فاهتزَّ فى الأَلَقِ المنضَّرِ عودُها
وشَدا الحَنـانُ المُرُّ من دُولابهِ
فتراقصَتْ فوق المروج قُدودُها

ولو انهـا علِمَتْ أساه لصوَّحَتْ
وذوَى لهُ رَيْحانُها ووُردُها !

* * *

يا ثوْرُ ! كيف غزَتْكَ أسواطُ الورى
وتقطَّعَتْ فى جانبيْكَ جُلودُها ؟
مرَدَتْ على كتفَيْكَ مِحْرَاباً .. إذا
صلَّتْ به يفرى حَشاكَ سُجودُها
وكأنَّما نَشقَتْ بجلدك فَوْحةً
من رُوحِها الفانى ، فجُنَّ وَريدُها[1]
شربَتْ دماءَكَ خمرَةً وتصايَحتْ
سَكْرَى تخبَّط هائِماً عِرْبيدُها
يَهذى فتحسبُ حين يصطخبُ الصَّدَى
جِنّاً تفزَّعَ فى الفَلاةِ شَرِيدُها !

* * *

---

(١) إيماء إلى انجذاب الشىء لأصله .

« آبيسُ ! (١) » أىُّ سريرةٍ بالهاءِ فى
عِطْفَيْك قد أعيا الحِجا مَعْقودُها !
حُمِّلتَ مِنْ « هُوروس (٢) » أقدمَ آيةٍ
عُبِدَتْ وَقُدِّسَ فى حِماكَ عَهيدُها
أذكَى لهـــا الـكهَّان نارَ بَخورِهم
فى « مَنْف » يسْطَع فى المعابد عُودُها
أرواحُ ضُلَّالٍ حَبتْكَ رَشادَها
وَجثَتْ لدَيْك على التراب وُفودُها
بَذَلتْكَ تقديسَ النُّهى ، ولو انَّهُ
للصَّخرة الصَّماء رِيعَ صَلودُها
عَبدتْكَ أبلهَ لا تعى ! ياضَلَّةً
لو تستطيع ذَرَا هُداكَ جُحُودُها !

* * *

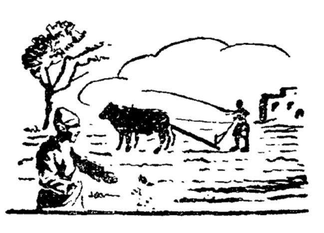
---

(٢) اسم العجل الذى عبده الفراعين قديماً
(٣) فى أساطير الفراعنه أن « هورس » هذا هو الاله الذى حلت روحه فى « آبيس » .

يا حِكمة في رَوْنَقِكِ العاني ! كَبَا
في العقل ناهضُها . وطَاشَ سَديدُها
زَعموكَ تحمل أرضهم . . ولو انَّها
عَقَلَتْ ، تميد وِهادها وَنُجودُها !

. . . .

ما العـاهلُ الجبّارُ مَنْ ذا دَولَة
وُقِفتْ على ذُلٍ العبـاد جُهودُها
هوَ أنْتَ !! مَنْ جعل المروج خَمَائِلاً
غَيْدَانَةً يَسبي النفوسَ شُهودُها
في كلِّ حقلٍ من جِهادكَ آيَةٌ
يَضفُو على الرِّيف الشَّقيِّ خُلودُها !



مِنْ مَرْجِ عَبْقَر...

« الى روح المتنبي »

مِزْمارُ جِنٍّ بتيهِ الْكوْنِ مَفْقودُ
تَصرَّعتْ بعدَ ما غاب الأناشيدُ
مُغَلَّفٌ في جُيوب الغَيْبِ ، لَجَّ بِهِ
في سرْمَدٍ مِنْ ظِلال الموت تخْليدُ
تساءلَتْ عنه أرواحُ الفلاَ ، ومَضَتْ
تضِجُّ من وَحشةٍ فيها الْجلاميدُ
وأسْبَلَ النجمُ أجفاناً مُحَيَّرةً
أَمَضَّها من عذاب الْبَيْن تَسهيدُ
مَطروفةً مِنْ غُبار الدَّهْر ، أتْعبَها
طُولُ التَّمَلِّي ، وإمْعان ، وتَفْنيدُ
تَرَصَّدَتْ مَوْكِبَ الدُّنيا ، فأزْعجَها
أنْ شَلَّ خُطْوَتَها في الذَّرِّ تَأْبيدُ

فأرعشَتْ في الدُّجى أهْدا بهاخَبَلًا
كأنَّما غابَ في سَوْدائها عُودُ !
وَضاعفَتْ عِلَّةَ الأَنْسام سَفْرتُها
جَوَّابةً . . حَظُّها في السَّير مَنكودُ
تَمُرُّ بالدهْر حيْرَى . . ما تُهامِسُهُ
إلاَّ ويُرْمِضها من فيهِ تنكيدُ
تقولُ : هذا عَجيجُ اللَّحْن محْتدِمٌ
ترنُّ في جرْسه السَّارى الأَغاريدُ
وأيْن – يا زهرُ – نايٌ كان مُلْهِمَهُ
ما أسْكرَ الكوْنَ من نَجْواهُ ترديدُ
هذا النَّشيد فمُ الدُّنيا يُردِّدُهُ
فأَينَ من سحْرِهِ القيثارُ والعُودُ ؟
فَطَرَّحَ النَّوْرُ أكْماماً مُخَبَّلَةً
وقَصَّفتْ نَفَسَها منهُ الأماليدَ
وذابَ في مَهدِهِ عِطْرٌ يُؤَرِّجُهُ
وغابَ مِنْ خَدِّه سِحْرٌ وَتَوْريدُ

وَاهْتزَّ هِزَّةَ أَوَّاهٍ يُرَنِّحُهُ
في سَوْرَةِ الذِّكْرِ إيمانٌ وَتَوْحيدُ

وقالَ : كَمْ مَرَّتِ الأجيالُ عابرةً
ولَحْنهُ في فَمِ الأجْيال غِرِّيدُ

لكنَّها وَجِمَتْ مِثْلي — وقدسُئِلَتْ —
وغال تِبْيانَها عِيٌّ وتَبليدُ !

وإذْ بعاصفةٍ هَوْجاءَ قد صَعِقَتْ
لِهَوْلها الجِنُّ ، والآطام ، والبِيدُ

كأنها هَيْجَةُ الأقدار ، مُذْ عَصَفَتْ
ماطاقَها في شِعاب الأرض مَوْجودُ

مِن مَرْج (عَبقَرَ) قد هَبتْ مُجَلْجِلةً
كأنها مِنْ عُتَاةِ الجِنِّ تَهديدُ

في قلبها نَغَمٌ . إنْ رَقَ ؛ تَحسَبُهُ
تَأْويهةً رَدَّها في الليْل مَعْمودُ

وإنْ قَسَا ، فَقُلوب الناسِ واجفَةٌ
والأرضُ لاهِفَةٌ ، والكونُ رِعديدُ

أَلْقَتْ على الزَّمَنِ المجنون حِكْمَتَها
فراحَ يُهْدَى بها شَيْخٌ وَمَوْلودُ
وأَطْرَبتْ مِسمَعَ الدُّنْيا بنَغْمَتِها
كأنَّما نفَخَ المزْمارَ « داوُدُ »
تُلقِّنُ الفِرقَ الهَيَّابَ سَوْرَتَها
فيغتدِي وَهْو في الْهيجاءِ صِنديدُ
صَهباءُ ماجاورَتْ كأساً، ولا شُرِبتْ!
ولا استَقَلَّ بها في الكَرمِ عُنقودُ
ما زال نَدْمانها حَيْرانَ تَسكُرُبُهُ
ضَلالةٌ عن مَجانيها وتشْريدُ
حتى أَتى « حَلَبَ » الشَّهْباءَ مُنتَشِياً
وجسمُهُ من ضَنَى التَّسْيار مَهدود
فراعهُ ما رأى من سِحرِ مَشْهَدِها..
الْخَمرُ أَخيِلةٌ ، والعقلُ راقودُ
ومِزهَرُ « الْمُتَنبِّي » عازفٌ هَزِجٌ
مُعلَّقٌ بأَواسى النَّجْم مَشدودُ

يُفَجِّرُ اللحْنَ إمَّا رَنَّ صادِحُهُ

خَرَّتْ على وجهِها من سحرِهِ الصِّيدُ..

فزمزمَتْ شفتاه بُرهةً ، وَمَضَى

والْقلبُ من سكراتِ اللَّحنِ مفئودُ

يقول : لا تحشدوا عيداً لذكرَتِهِ

فكلُّ لحنٍ شَدَا مِن نَايِهِ عيدُ !!

الى دُخانِ الكوخ !

أَتُرَى أنتَ على الأُفْقِ لهيبٌ أم دُخانٌ !

أمْ جِراحُ الكوخ سَجَّاها من البُؤْسِ الزمانُ

أمْ دموعُ الشّاءِ والرُّعيانِ أذْراها الهَوانُ ؟

أمْ شجونُ الفأسِ أبلاها الضَّنَى الْحَدَثانُ ؟

أمْ هِيَ القَرْيَةُ لم يخفِقْ لبلْواها جَنانٌ ؟

زفَرَتْ فى الجوِّ ثكلَى لم يُصابِرْها الحَنانُ

فَهْىَ جُرْحٌ..ودُخانُ الكوخِ بالشكوَى لِسانُ !!



مَنْ عَلَّمَ البحْرَ لَجاجَ الهوَى

وأتْرَعَ الحبَّ بشُطْآنِه ؟

وقال لِلْموجَة : خَمرُ الصِّبا

صَافٍ ، فعُبِّي الكأسَ من حانِه ؟

وأنْشِدى فى الشَّطِّ أُغْنِيَّةً

أوْدَعها النَّايُ بِألْحانه ! ؟

حُورِيَّةٌ صوَّرَها ساحِرٌ

مِنْ رَوْعُةِ السِّحر وسُلطانه

لوْ شامَهَا قَسٌّ بِمِحْرابِه

يُذَوِّب الرُّوحَ لقُرْبانِه ،

لأحرقَ القلبَ بَخُوراً لهـــا
وأشعلَ النّارَ بصُلْبانهِ !
عُرْيانةٌ قدَّتْ مُسُوحَ الصِّبا
منْ بَهجة الفَجْر وألْوانهِ
لَمْ تَرْضَ بالدِّيباج سِتْراً لها
مُهفهَفَ الطَّرْف بقُمْصانِهِ
فهلَهلتْ أسْدالها فى الضُّحى
ورَفْرفتْ طـيْراً ببُسْتانِهِ
أندَى على الأرواح منْ نَسْمةٍ
فيْحاءَ يذْكيهـا برَيْحانهِ !
سارَتْ إلى البَحْر وفى هوْلها
ما يضْرِمُ النّار بقيعانِهِ
ظَمْآى لِظمآنَ هفَتْ مِثلما
يَهْفو حَشا الطّيْر لغُدْرانهِ
يا فِتنةً رفّتْ على فتنة
كالعَرْف إذ رفَّ بِمِيدانِهِ

سَلبتِ رُشْدَ البحرِ حتّى غوَى
وأذهلَ العقلَ بطغيانهِ
هَذا الذى جرَّدتهِ للسَّنا
يميسُ كالزَّهر بأفنانِهِ ،
فضيحةُ الحسْنِ أُتيحَتْ لنا
منْ شَططَ الغَرْب وكُفرانهِ
جِسْمٌ لو أنَّ الرُّوحَ ألقَتْ له
زمامَهَا ، فرَّ لأكفانِهِ
خَزْيانُ مَزقتْ نِقابَ الحَيَا
مِنْ كلِّ مَسْتورِ بجُثمانِهِ
يُرْعِشُهُ الخِزْيُ إذا ما انبرَى
فى لهْوهِ العارِى وتَفْنانِهِ
فيحسَبُ الناظرُ مِنْ فتنة
كَهْرَبَةً تجْرِى بسِيقانِهِ !

* * *

يا بِدْعةَ الشَّطِّ سَلبْتِ الهُدَى

مِنْ كلِّ مَعصومٍ بإيمانِهِ

لوْلا جَلالُ الفنِّ فى بُهْرةٍ

للحُسْنِ أصلَتْنِى بنيرانِهِ ،

ألْهبْتُ فى شعرى سعيرَ اللَّظَى

ورُحتُ أُصْليكِ بأَوْزانِهِ

أو أُلْهِمَ البْحْرُ مِساسَ الحِجا

لأغْرقَ البرَّ بطوفانِهِ

ولمْ يدَعْ فى غَمْرِهِ سابحاً

يُصافحُ الموْجَ بشُطْآنِهِ !!



ضَجَّةُ الرُّوح ... في يوْم (عِيد) !!

يا فَرْحةَ العيدِ مالى لا يُساوِرُنى

لدَيْك إلا أَسًى فى القلب موَّارُ !

لو أَنَّ دمعَ اليتامى فيكِ كَأْسُ طِلاً

حَسَوْتُه نَهْلةً بالرُّوح تُشْتارُ

لم يكفِنى مَدْمَعى أجرَى سَواكبَهُ

هَمٌّ أنَاخَ على جَنْبىَّ جبَّارُ

تَرَصَّدَ الرُّوح أَنَّى خالستْهُ طغَى

ولفَّها منْهُ طىٌّ البؤس إعْصارُ

مِسكينةٌ أنتِ يارُوحى! فما اتَّأَدَت

عنكِ اللَّيالى ولا أعفاكِ مِقدارُ

تزاحمتْ حَولكِ الأَحزانُ عاصفةً

إذا وَنَى كَدَرٌ، هَدَّتكِ أكدارُ

صَبِيَّةٌ فى الشبـاب الْغضِّ ما أثِمَتْ
يوْماً ، وَلَا مَسَّها رِجسٌ ولا عارُ
قَدْ شَيَّبَتْها الرَّزايا السُّود جَمَّعها
لؤْمُ الزمان . . وأهْوالٌ . . وأقْدارُ
لا تسأل الشِّعرَ عنْها فَهْىَ مَلحَمَةٌ
من الأَسَى غلَّفتْ معْناهُ أسْرارُ . .
صُوفِيَّةٌ شرَدَتْ فى الصَّمتِ حكمتها
فما تفيــدُ أناشيدٌ وأشعارُ ! ؟
رأيتُها فى ظِلال (الْعيد) قد خَنَقَتْ
صفاءَها مِن كثيفِ الهمِّ أستارُ
تَسيرُ فى ضجَّةِ الأفراح وَاجمةً
يَلهو بها من حَفيفِ الدمع إسْرارُ
كأنها ميِّتٌ فى البيد مُطرَّحٌ
تصايَحتْ حوْله باللحْنِ أطيارُ !

* * *

«خمسٌ وعِشرون[1]» في البَلوى تقطّعُني
كما يقطّعُ لحمَ الشّاةِ جَزّارُ

لا لَوْعتي هدَأتْ فيها ! ولا كَبِدي
خَبتْ بألْفافِها من حُرْقتي نارُ !

تصرَّمَت في أناشيد الضنَى عَبثاً
كأنّ عُمْرِي مَزاميرٌ وأوْتارُ !

---

(١) عاما



إلى سجينة ... القصر !

« عصفت بقلب الشاعر عاصفة من الوجد الصارخ عقب فراق مفاجئ نكب به منذ عامين . . فاستحالت حياته إلى جحيم من العذاب النفسي ، والقلق الممض ! . . وقد نزع به الحنين ــ يوما ــ إلى قصر عذرائه الملهمة . . حيث مهد غرامه ، وشط إلهامه ، فسبق الشمس إلى أستاره فى الصباح بنظرات مشدوهة . . وروح شارد فوقف لحظة ثم عاد بهذه الدموع المشتعلة التى سكب نارها فى هذه المناجاه ! ! »

يا زَهْرَتى ! طلعَ الصَّباحُ وفى فمى
نغَمٌ ينُوحُ ، فهل سمِعتِ نُوَاحَهُ ؟
ما زال يصرُخُ فى الفضاء ، فلمْ يجِدْ
شفةً تُناغمُ لحنَه وصُداحَهُ
أسْيانَ مُخْتَبلَ النشيدِ أذابَه
مِنْ خافقٍ دفَنَ الزّمانُ مراحَهُ

قلبٌ كعُصفور الأراكة ذِيدَ عنْ
عُشِّ الصِّبا ، والسجْنُ شَلَّ جناحَهُ
جَرَّحتِهِ بالهجر . . . ثم تركتِهِ
ماذا عليكِ إذا أسَوْتِ جراحَهُ !
كم رتلَ اسْمَكِ ـ خاشعاً ـ فكأنَّه
(موسى) يرنِّمُ فى الدُّجى ألْواحَهُ
الهجْرُ عَذَّبه وأذْبلَ رُوحَه
والفكرُ غيَّبَ فى الأسى أفراحَهُ
وبَكى ونوَّح فى الظلام ، فما أسَا
قلبُ الحبيب بُكاءه ونياحَهُ !
حجَبوكِ ..هل حجبوا سناكِ مُفَجَّرا
كالنَّبع يسْكبُ فى الحشا تَلماحَهُ ؟
حَجَبوكِ ..هل حجبوا عبيرَكِ عن دَمى
رَيَّانَ يذْكى فى الفؤاد نُفاحَهُ ؟
حَجَبوكِ ..هلْ حجَبوا نَشيدَكِ عن فَمى
لهْفانَ خلّد فى الهوى تَصْداحَهُ ؟

حَجَبوكِ .. هل حجَبوا نُفاثةَ عاشقٍ
أَضْرَى الغرامُ جلادَهُ وكفاحَهُ ؟
مُتوَلِّعٌ بهواكِ ما أغْرَى به
بَيْنٌ ، ولا فلَّ الفراقُ سلاحَهُ
وافَى برُوجِك فى الصَّباح فلَجَّ فى
ظلَم النَّوى ، وَبكى الحزينُ صَباحَهُ
لم يَلْقَ إلاَّ ظلْمةً مشبوبةً
وسناً تخطفَتْ الدُّجَى لمَّاحَهُ
يا ليْلَهُ أترعْ لواعجَ قَلبه !
حدِّثْ عن الخفقات يا مِصباحَهُ !
لم يُبْق منه الحُبُّ إلاَّ آهةً
مجْنونةَ الحَركاتِ تقْلقُ ساحَهُ
وقَصيدةً هزَّتْ مَلاحنها الدجَى
ومَحتْ رُؤاهُ ، وفزَّعتْ أشْباحَهُ !

* * *

ظنّوا غرامىَ فيكِ لُهْيةَ ساخرٍ
يُلقى على الزّمن الضّحُوكِ مزاحَهُ

فثَنوْكِ عن نظرى وخلَّوْا مُهجةً
حيْرَى ، يجرِّعُها الهوىَ أتْراحَهُ

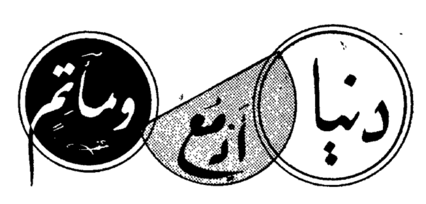
كالطّائر المنْبوذ فى قُبَبِ الفلا
يذْرى الهجيرُ بساحِها أرْواحهُ

وأنا الّذىَ سأظلُّ باسْمِكِ هاتفاً
حتَّى يمدَّ الموْتُ نحوىَ راحَهُ !

لا تحْسَبى النِّسْيانَ يلمَسُ عابداً
خنَقَ التأوُّه والأنينُ سراحَهُ

إنْ كانَ زَوْرَقَ عيْلَمٍ متوثِّبٍ ،
لَجعلتُ قلبى فى الهوىَ ملاحَهُ

وحطَمْتُهُ ! وهزمتُ صاخبَ يمِّهِ !
ودفنْتُ فى قبْرِ الخيالِ رياحَهُ !!



« إلى الذين لا تشجيهم تأوهات العاشقين . . . »

حَزِينٌ ؟ أجَلْ .. والحزْنُ أضْحَى مُنادِمِي
فدُنيايَ دُنيَا أدْمُعٍ وَمآتِمِ !

يَقولونَ : سَوَّدْتَ الأغانِي وبِشْرَها
وأصْبَحْتَ تَهذِي باللُّحونِ القَواتِمِ

خَيالكَ أضْحَى ظُلْمَةً سرْمَدِيةً
تَرامَتْ على لَيْلٍ منَ البُؤْسِ فاحِمِ

وشِعْرُكَ هَدَّتهُ المآسِي ، وسوَّدَتْ
أغارِيدَهُ في الحُبِّ بِيضُ المعاصِمِ ..

تَضِجُّ عَلَى أُنثَى تَجافتْكَ فى الهوَى
وتبْكِي بدَمْعٍ من أسَى الشَّوْقِ عارِمِ ؟

وتُفْنِي شَباباً فى الغَرامِ وذُلِّهِ
وشَكْواهُ من سِحْرِ العُيونِ النَّوائِمِ ؟

وتُصْبِحُ في الأكوان سُخْرِيَّةَ الورَى
هَضِيمَ الحَواشي ! مُسْتَخَفَّ المعالِمِ !
فقلتُ لهم : لا تكثروا اللَّوْمَ إنَّني
تحيَّرتُ في كوْنٍ عَجيبِ المظالِمِ :
شَقيتُ بحُبِّي وَهْوَ عفٌّ مطَهَّرٌ
وغَيْرِي سعيدٌ في الهوَى بالمآثمِ !
تَعلَّقْتُها عَذْراءَ يَنْدَى حَديثها
صَفاءً تجَلَّى منْ عفيفِ المباسمِ
هِيَ النُّورُ . أو في النُّور منْها ألاقةٌ
هِيَ السِّرُّ يضْوَى في غُيوب الطَّلاسِمِ
إذا نَظرَتْ ..فاحْبِس بَخورَكَ دُونَها
فقدْ سَحرتْ سِحْرَ الرُّقى والتَّمائِمِ !
تلقَّيْتُ منْها وَحْيَ شِعْرِيَ سامياً
وأُلهِمْتُ منهـا خالداتِ الملاحِمِ
ولمَّا تَلاقيْنا وكادَ صفاؤُنا
يُرَفِّهُ مِنْ وَجْد القُلوبِ الهَوائِمِ ،

تَصاوَحَت العيدانُ في جَنَّةِ الهوَى
وجافَى رَفيقُ اللَّحْن عُشٌّ الحَمائمِ
وبُدِّلتْ الأنسامُ بيْنَ أراكِها
فَحيحَ أعاصيرٍ ، ولفْحَ سَمائمِ
كأنَّ اختِلاجَ النُّور فوْق حُطامِها
من الألَق الْخابِى تَهاويلُ واهِمِ ..
وَغيْسانَةِ الأفْياءِ ، وَهْنانَةِ الصَّبا
مُشرَّدةِ الأطيَابِ ، رَيَّا النَّسائمِ
سَألتُ رُباها : أينَ بُلبُلكِ الَّذى
تغنَّى طويلاً فى المُروجِ النَّواسمِ ؟
فأطرَقتِ الأغصانُ حُزْناً ، وأصبحَتْ
كمُرْتبكٍ مِنْ حَيرة الفِكْر وَاجِمِ
وقالتْ : بَعيدٌ عن ظِلالى مكانُهُ
هُناكَ على صُمِّ الصُّخور الصَّلادِمِ
بِفَيْفاءَ مَلَّ الصَّمْتُ فيها مُقامَه
نَسيلَ الْخَوافِى ، مُسْتَهاضَ الْقوادِمِ

تُمَزِّقُ أرْواحُ الْهَجيرِ شِغافَهُ
وتصْليه من لَفْحِ السوافِي بجاحِمِ

وكَمْ نَغْمة بين الحشا رامَ عَزْفَها
فظلَّتْ كوَهْمٍ في الْحَنيَّات جاثِمِ !

وتأويهَةٍ في اللَّيْلِ سَوْداءَ مُرَّةٍ
تُفزِّعُ في قلْب الدُّجَى كُلَّ نائِمِ

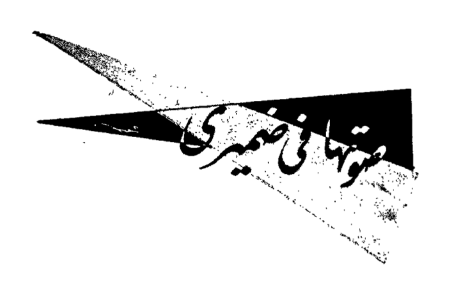
بَراها كما تبْرى مآقيهِ دَمْعَها
وسارَ كمخْبُولٍ على الأرْض هائمِ !

هُوَ الصَّبُّ يا عَذْراءُ شابتْ هُمومُهُ
ولمْ يَحْظَ مِنْ دُنياهُ يوماً براحِمِ

بَكينا .. فلا الدُّنْيا أطلَّتْ لِدَمْعنا
عَشِيَّةَ أسْرَى في الجفون السَّواجِمِ

وَنُحْنا .. فما رقَّتْ لنا عيْنُ كائنٍ
ولا أسِيَتْ شَجْواً قُلوبُ الْعَوالِمِ

كأنَّا بتلكِ الأرْض انفاسُ وَاحَةٍ
جَفا نَبْعَها خَفْقُ الطُّيورِ الْحَوائِمِ !



« هاجنى الحنين إلى صوتها الوادع الذى طالما ارتشفت من همسه راحة العمر ولذة الحياة . . . فلم يلهنى صخب الدنيا عن صداه الذى ظل يرفرف على روحى ويموج فى حواسى . . حتى ذاب منه هذا اللحن الملوع الحزين ! ! »

لَحنٌ يُغَمغِم فى صَدرى فيُشْجينى
ويَسكبُ النغمةَ الحيْرى فيُبكينى
وافى من الغَيب عُلْوِىَّ الصدَى ، فسمَتْ
طُيوفُه البيضُ عَنْ عَزفى وتَلْحينى
شَقَّ الأثيرَ من الماضِى ، وناغَمنى
بِزهْرِ كاسفِ الرنَّاتِ محزونِ

على مثانيـــهِ أرواحٌ مُجَنَّحةٌ
تطلُّ مِن خاطرى الدامى تُحَيِّينى
رَفَّتْ عَلَى فَمِها المسحُورِ أُغْنيةٌ
حَزِينـةٌ صَرخَت شوقاً لمحزُونِ
قُدْسيةٌ حَملتْ مِنْ ثغرِ فاتنتى
صَوْتاً مِنَ الذِّكَرِ الأُولى ينادِينى
وَهْنانُ من فَدحةِ الآلامِ مختنقٌ
مجَرَّحُ اللحْنِ ، مَكبوحُ الأرانينِ
سَأْمانُ مِن طولِ ما أضنتْهُ غُرْبتهُ
عن مِسْمعٍ لصَدَى نَجـواهُ مرْهونِ
لهفـانُ ! يَخْفق فى قَلْبى فيصدَعهُ
وَيُلهِبُ الوَجدَ فى رُوحى فيُضنينى
يميتُنى إنْ جفَتْ أصداؤه خـلَدِى
فإنْ خَفَقْنَ على الاحشاء يُحْيينى
نَاىٌ ولا صَافرٌ فى الصمْتِ ينفخهُ
لـكنَّ رَناته فى القَلبِ تُصْبينى

ومزهرٌ غابَ شاديه وخلفنى
ونغْمةً فى الصدَى باتتْ تسلّينى

وعازفٌ فى ضميرى ملهَم غردٌ
ما شدَّ أوتارهُ يوماً لتلحينِ

تظلُّ أسْجاعهُ فى الشجْو تنشرنى
ونبرُها فى عذابِ الحبِّ يَطوينى

إذا شدَا فدَع الدُّنيا وضجتها
وَاسمعْ - فديتُك - قُمْرِىَّ البساتينِ

وَإنْ تهامَسَ فى صدرى حَسِبتُ به
وَحياً من اللهِ فى البَلوَى يُعزِّينى !

* * *

هُوَ الهوَى يا « ابنةَ البُسفْورِ » ! علَّمنى
حُزنَ الثَّكالى ، وَأوْهامَ المجانينِ

عَيْشى به آهةٌ فى صدر مُبتَئسٍ
ودَمعةٌ تلْتَظى فى جفْنِ مِسكينِ

وثورةٌ في حنايا الصبِّ صاخبةٌ
حرَّى توهَّجُ من حينٍ إلى حين!
ماذا جنيتُ وروحي في طهارتها
أزكى لحبكَ من طيبِ الرياحين؟
نسختُ حسنكَ روحاً سامياً ألقاً
وكنتِ كالنّاسِ من ماءٍ ومن طين!
وظلْتُ ابلى شبابي في صيانته
وأنتِ بالهجرِ والتعذيب تُبليني!
خلَّدتُهُ بأغاريدي ورُحْتُ به
ازهى على كلِّ فتّانٍ ومفتون
فلا عذارى بلادي هجنَ من غزَلي
إيماءةً عن سنَا عينيكِ تُلهيني
وهُنَّ والحسنُ لا غاوٍ ولا دنسٌ
كلؤلؤ في شُطوط النيلِ مكنُون . .
و (الكوخُ) أهديْتهُ سحراً ومعجزةً
لعلّ قصركِ باللقيـــا يُهاديني

فما وَفيْتِ ! ولا مَهدُ الغرام رثى
لشاعرٍ بالهوَى العُذرىِّ مجنون !
لو كنتُ أهدْيته للنجم من قَلَقى
لخرّ من بُرجهِ العالى يُواسِينى !
أو كنتُ أهدَيته للصّخرِ من ظمئى
لفجّر السلسلَ الرّقراقَ يروِينى !
أو كنت أهديتهُ للكوْن من شجَنى
لحارَ دمعةَ مفجوعٍ تؤاسِينى !

* * *

يا صوْتها فى ضميرى .. طُفْ بساحتها
وقل : لأيةِ أُذنٍ رحت تلقِينى ؟ !
هَذِى المسامع آثام مغلّفةٌ
وخَدعةٌ ذهبتْ بالصمْتِ تُغوينى
أقصيتِنى عن ملاكٍ كان يعبُدُنى
ولُذتِ بى بين أسماءِ الشياطينِ
وكنتُ فى فمِ الصدّاحِ غنوتَهُ
فمنْ على البعدِ يا وَيْلى يُغنّينى ؟ !

الصاخب المجنون

لقدْ طالَ في صَمْتِ اللّيالي نداؤهُ

لمن نوحه تحت الدجى وبُكاؤهُ ؟ !

حزينٌ ذَوَى في الهمِّ ضَوْءُ شبابه

وماتَ على هَوْل المآسى بَهاؤهُ

جَريحٌ أضلَّ الطِّبَّ سرُّ جِراحه

فيارحْمَتا يارَبِّ ! أينَ دواؤهُ ؟

شريدٌ ترامىَ في الحياة مضيَّعاً

فما عيْشهُ فوق الثَّرى وَبقاؤهُ

يسيرُ على التُّرْب المهين تَخالهُ

من التُّرْب ذرًّا لا يقرُّ هباؤهُ

تباغتِه الأنواء من كُل وِجهة

فيشتَدُّ في عصفِ الرياح بَلاؤهُ

لعينَيْكِ يا عذراء غنّى ، فضيِّعتْ
أناشيدَه بينَ الأسى وغناؤه
أتاكِ من الغيْب الخفِيِّ كأنهُ
منَ الغيب وَحيٌ أنزلَتْه سَماؤهُ
على فمِه اغرُودة عبقريةٌ
وفى قلْبِه نور تجلّى سَناؤهُ
وفى الرُّوح إلهامٌ من الحُب خالد
لذاتِكِ أصفَى طهْرُه وصفاؤهُ
ضراعاتُ معمود إذا القلبُ نصَّها
يَفيضُ على سُود الليَّالى ضِياؤهُ
مجَمَّعةً من كلِّ سرٍّ محَجَّب
تغلغَلَ فى قلْبِ الوُجودِ خفاؤهُ :
منَ الحُلُم البسَّامِ فى هالة الرُّؤَى
يَرفُّ على دُنيا الحزين رُواؤهُ
منَ السَّحْرة الفيحاءِ تَنْدى رباتها
بوادٍ على شَطِّ الخُلودِ ثواؤهُ

من الجدوَل الرقْراق فى ظُلَل الضُّحَى
يُعانقُ أفياءَ الخَميلاتِ ماؤهُ

منَ الدَّعَواتِ البيضِ فى ثغرِ ساجِد
إلى اللهِ يرقَى فى الصَّلاة دُعاؤهُ

من الزهْر غيْساناً ، من العِطْر نافحاً
منَ الرِّيفِ وَسْنانُ المرُوج مِساؤه

قبستُ أغاريدَ الهوى من حُشاشَتى
وغنَّيتُ ، عَلَّ القلبَ يدنو رَجاؤه

فماذا جنَى المهجورُ من خفقاته ؟
لقد زاد فى ظلِّ التَّغنِّى شقاؤهُ !

مُناجاتُه للناس أَضحَتْ تسلِّيا
وسخرِيةً أَوْدَتْ بها كبْرياؤهُ

وأَضحى بها جُرحاً إلى القبر سائراً
على يدِكِ البيضاء يُرْجى شِفاؤهُ

* * *

تعالَىْ إليْه ، وانظُرى جثَّة الهَوى
يسيرُ بها والليْل داجٍ رداؤهُ !
مُضمَّخةً بالدمع من فَيضٍ ما ذرَا
تفجُّعه طُول النوَى وبكاؤهُ
أسا كيبُ من نبعِ الحشاقد تفجَّرتْ
لهيباً بأعْصابى سرَتْ كهَرُباؤهُ
تكفِّنها الأطراسُ ممَّا نفثته
مواثيقَ حُبٍّ هاجهُنَّ جفاؤهُ
يُحَوِّمْنَ كالغرْبانِ فوقَ رُفاته
وَينعَيْنَ عهدَ الحُب ماتَ هَناؤهُ
يسيرُ بها حيْرانَ ! لهفانَ ! جازعاً !
يحطِّمُه كرْبُ الرَّدَى وعَناؤهُ
ويصخَبُ كالمجْنون فى كلِّ خُطوَة
فيُقْلق سمْع العابرين هُذاؤهُ
وفى عينِه من طُول ما بكتْ الهوَى
ذُبالةُ نُورٍ لج فيها عَماؤهُ

وفى الصّدر مذبوحٍ تُغَنِّى جراحُه
وتصرخ من بؤْس الليالى دِماؤهُ
فؤادٌ كأنَّ الله سَوَّى شغافه
منَ الدّمع والآهاتِ .. جفَّ ذِماؤهُ
لغيْركِ لم يُخلقْ ، ولكنَّ عِبْرةً
على الدّهر أنْ يبقى لديْكِ فَناؤهُ !

* * *

تعالَىْ اليْه واترُكى الكَوْنَ ساخراً
فقد عزَّ فى دُنيا البرايا وَفاؤهُ
تعالَىْ إليْه قبلَ أنْ يغرُبَ السَّنا
ويُصْبحَ وادى الحُبِّ قَفْراً فَضاؤهُ
فلا مِزهَرٌ شادٍ ! ولا عازفٌ شجٍ !
ولا عاشِقٌ يهفو إليكِ نداؤهُ !
تُنادِين . . لا السُّلوانُ يرْحَمُ مرَّةً
نداكِ ، ولا المقدورُ يأتى عزاؤهُ
يَرُدُّ الصَّدَى الندْمانُ منكِ مُجاوِباً !
هُنالكَ على شطِّ الفَناء لِقاؤهُ !



« . . وقد تنفست سجينة القصر بعد
صمت طويل سائلة عما فعــل صرف النوى
بمهدها القديم فخفق لها القلب بهذا النشيد »

سَلْسِلِى لَحْنَكِ الْجَـرِيحَ ! وَهاتِى
رَجْعَ قيثـارتى ، ونَجوَى صلاتى . .

طالَ شدْوِى حِيالَ قصرِكِ شوْقاً
فاهْتِكى السِّترَ ، وارْحَمى خفَقاتى

وانظُرِى جذْوَةَ الهوَى فى خيالى
وشُحوبَ الفَنَــــاء فى نظَراتى

وتَهاوِيلَ مِن بَقايا جُنُون
خلَّفتْها الأحزانُ فوْقَ سِماتى

وبَرِيقاً من الشباب المُوَلِّى
كَهَشِيم الرَّيحان فوْقَ الرُّفاتِ

وَخُيوطَ المُنَى على صَفْحة القَلْـ
ـبِ كأطْياف غَيْمة في فَلاةِ
مُنْيَةٌ أُزْهِقَتْ ! وأُخْرَى تَمايا
والْبقايا في الصَّدر مُنْتَحِراتِ ! . .

* * *

هَيْـكلٌ من فَواجع الـكَوْن ثاوٍ
بيْنَ كَهف مُجَنَّحِ الظُّلماتِ
الأفاعي رُهْبانُهُ ، وصَدَى البُو—
مِ هُتافَ الرُّهْبان في الصَّلواتِ
وريَاحُ الدُّجَى تَزِفُّ حواليْـ
ـه ، وتَنْعى في صمْتِه مُعْوِلاتِ
نَبذَتهُ الأقْدارُ في وحْشَة الْبِيـ
ـدِ أَنيسَ الصُّخُور في الْفلواتِ
صَمْته ضَجَّةٌ ! ونَجْواهُ صَمتٌ !
يا لَهَول الضَّجيج بيْن الصُّماتِ !

ورُؤَاهُ فى اللَّيل مَوْكِبُ جِنٍّ

غَطَّ مِن فَدْحَةِ السُّرَى فى سُباتِ

مَنْ يَرَاهُ يرَى بقيَّةَ نحْسٍ

أفلَتَتْ مِنْ حُظُوظِهِ العاثِراتِ

جاثِمٌ فى التّراب . . كالأمَل الخا —

ئبِ فى خاطرِ ذبيحِ الشَّكاةِ !

كالشَّجَى فى اللَّهاة ! كالهمِّ فى المُهْـ

جةِ ! كالموْت فى رَبيعِ الحيَاةِ !

كرِمامِ القُبورِ ! كالبيْدَر المهْـ

ـجورِ ! كالرِّجْسِ فى جُنوبِ العُصاةِ !

كَحفيفِ الظَّلامِ فى أذُنِ الْغا —

بِ ، كآثِمٍ يَطيفُ عند الصَّلاةِ !

كوُرود الخَريفِ مَاتَتْ على الأيْـ

ـكِ ومات الشَّذَى عَلَى الوَرَقاتِ !

كرَفاتِ الأحْلامِ فى عالم النِّسْـ

ـيانِ ضاعَتْ بظِلِّه أُمنياتى !

كأنينِ الغريبِ في وَحشةِ اللَّيْـ
ـلِ ! كلطْمِ النّوادِبِ الثّاكلاتِ !
كفحيحٍ يُريقُ سمَّ المنايا
نفخَتَهُ الحيَّاتُ في السكَراتِ !
كنشيجِ الأيتام ملُّوا من الدَّمْـ
ـعِ ومالُوا برَعْشَةِ الآهاتِ !
كخيالِ النّدْمانِ ! كالنغَم الحيْـ
ـرانِ دسَّتْ رنينَـهُ أبياتي !
كدُخانِ الأكْواخِ تنفُخُه الرِّيـ
ـحُ فيفَنَى في ظلْمَةِ الأمْسياتِ !
كحَنُوطِ الأكْفان في جدَثٍ زفَّـ
ـتْ عليه نَوائِحُ هبّةُ السافياتِ !
كجبينِ المشنُوقِ خطَّ عليه المَـ
ـوْتُ أسْطارَ عُمْرِهِ النَّحِساتِ !
هكذا صِرْتُ بعدَ ما غِبْتِ عنّي
في الأسَى والنُّحوسِ ضاعتْ حياتي !..

* * *

كان شِعْرى على يدَيكِ عَبيراً
سكبَتْهُ روائحُ الجَنَّـــاتِ

طِيبهُ للقُلوب فوْحَةُ خلْد
نسمَتها الغُيوبُ فى صَدَحاتى

قَبست وهْلَةَ السّنَا من رُبَى النيـ
ـل وشَمتْ بهـا مِنَ الأبْيات

ورأتْ فى المرُوج طِلَّسْمَ سِحْر
ظَلَّ مُسْتَغلقاً لِكلِّ حَصاةِ

فنَضَتْ سِرَّهُ بسحرِكِ لحْناً
رَدّدتْهُ هواتفُ الرابيـاتِ

وهُو اليومَ زورَقٌ مِنْ خَيال
حَطّمتْهُ ثوائرُ العاصفـاتِ

ما لملاّحِهِ سوَى صَرْخَةِ اليـأ
سِ يُدَوِّى بها لشَطِّ النَّجاةِ

وأعاليـلَ منْ وَميضٍ عَلَى الأفْـ
ـقِ هفَتْ منْ طُيوفهِ المظلماتِ

كلما آذنتْ . . يَرُدُّ سَناها
قبسٌ منْ شُعاع عَينيكِ آتِ
فتُرى هَدْأةُ الرّدَى فى حواشيـ
ـهِ وظلُّ الحَياة فى القَسَماتِ
ساعِفيهِ بلَمْحة تُنعشُ الرُّو
حَ ، وتلْهِيهِ عَنْ كُروبِ الْمَماتِ
واسْمَعيهِ بينَ المآسِي يُغنِّى
بلُحون صَواخِبِ والهــــاتِ ..
جَدْولى لمْ يزَلْ يصَفِّقُ للحُـ
ـبِّ وتَهفو بشَطِّه قُبُراتى
والصباباتُ ما يَزَلْنَ يحوِّمْـ
ـنَ فيُسكِرنَ عِلّةَ النسَماتِ
وَالأغاريدُ مثلما كنَّ بالأمْـ
ـسِ يُهازجْنَ بلْبُلَ الربَواتِ
والصباح الحزينُ لا زالَ سكْرَا
نَ بخمْرِ الأَحْلام والصبَواتِ

والضُّحَى شاعرٌ تهيَّأ للوَحْـ
ـى فأصْغَى وقال للنَّاى : هاتِ !
هاتِ لى قصَّةَ الهوَى والأمانى
وليـالى غَرامِىَ الْفانياتِ
وأذِبْها فى النُّور . . . وابْعثْ صَداها
فى الرَّوابى مَلاحنـاً خالداتِ
وكؤوسُ الهوَى طَوامٍ إلينـا
يتَنظَّرْن عَوْدَنا مُترَعاتِ
وأنا خاشعٌ هُنالكِ فى الأيْـ
ـكِ كمستَغفرٍ جثا فى صَلاةِ
أتحسَّى شذاكِ من سَجْوةِ الظِّـ
ـلِّ وأقْتاتُ مُزْعِجَ الذِّكرَياتِ
وأنادِى . . فيخنُقُ الحزْنُ صوْتى
وتموتُ الأصداءُ طىَّ لهاتى
وأرَى رسْمَكِ الحبيبَ مُطِلاًّ
من سَمائى وجدْوَلى ورُباتى

مطرِقاً في السَّنا كزنبقةِ الصَّيْـ
ـفِ! كطيْفِ الغريبِ في المرْآةِ . .

* * *

أسرعي قبْلماَ تغيبُ الْأَماني
في دُخانِ الهُمومِ والحسَراتِ
وتَصيرينَ في الهوى قصَّةَ الغَدْ
ر ، وأسطورةً على نغماتي
أسْرعي قبل أنْ تموتَ الأغاني
فتناجيكِ بعْدَها مرْثياتي !!



الَى قَلْبِي الْعَلَيل !!

يا شاكياً من فَدْحة الألم
والطِّبُّ عن شكواهُ في صَمَمِ
هَلاَّ وقفْتَ بها - لتُسْعدني
منْ ضُرِّها - في شاطئ العدَمِ !
أَضْوَيْتني حَتَّى ذَبُلتُ أسًى
وشربتُ كأسَ الذّلِّ منْ سَقَمِي
شاهَ الشبابُ وحالَ رَيِّقُهُ
في عابسٍ بالهَمِّ مُرْتطِمِ
وَالناسُ . . لا ناسٌ إذا خلجَتْ
عيني . . كأنِّيَ في الحَياةِ عَمِ !
صَدَفُوا عن الشكوى ، فلا أُذُنٌ
تُصغي لما رَتَّلْتُ من نَغَمِي
حَسِبوا أنينَ القلْبِ فلسفَةً
عَبَثَتْ بها أنْشودَةُ القَلَمِ

فتغافلُوا عنِّى ، ولوْ علِموا
شَرِبوا صُبابَ الدمْع مِنْ ألمى !

* * *

وَجعٌ بقلْبى شَلَّ دَوْرَتهُ
لولا حَراكٌ هَفَّ مْن قَدَمى
كالطــــائر المذْبوح مُنْتَفضاً
خَفَقانهُ فى جانب الظُّلم
قلِقُ المهــــادِ ، كأَن مهْجَتهُ
من ريقةِ الأفْعَى تعُبُّ دَمى
أوْ أنهُ إثْمٌ يُقلِّبــــهِ
وَخزُ الضميرِ بوقْدةِ الندَمِ
إمَّا شكوتُ جراحَهُ وَهنًا
ماتَتْ شكاةُ القلبِ طىَّ فمى...

* * *

يا مِحْنةً فتَكت براحَتهِ
فتْكَ اللظَى باليابسِ الْحُطَمِ

هَذا العليلُ بأضلُعى دَنِفٌ
لهفانُ يَرْزَحُ فى ضَنًى عَمَمِ
كم ثورةٍ للحُبِّ جائحةٍ
طاحَتْ به فى ساعرِ الضَّرَمِ
ودفينةٍ أبلَتْ لفائفَه
مِنْ كلِّ خافى البؤْسِ مُكتتِمِ
مَشْغوفَةٍ بصِباهُ تأكلُهُ
بالحزْن أكلَ الجائعِ النَّهِمِ
جَعَلتْ سرائرهُ لها طَلقاً
تقتاتُ مِنْ جَنَباتهِ بدَمى !
يا مُلهِمى الشكْوَى مُعَذِّبتى
بفَواتكِ الأحْزانِ والسَّقَمِ
شَكواكَ يا مسكينُ نبرُ شَجًى
بلَعَتْ صداهُ سُدْفةُ الظُّلَمِ
هِيَ خفقةُ المزْمار طيَّرَها
بَدَداً مع الأرْوَاحِ والسدُمِ !

أنا

« . . إلى التي حملت لي الأسلاك
شدوها بأغاريدي . . وعتابها الغامض
على صمتي ! ! »

أيها الصَّوْتُ ! منْ وَراءِ الغيوب
كيفَ هيَّجْتَ مزهري للنَّحيب ؟
أنتَ أشعلتَ ماضياً مزّقَ الرُّو—
حَ وألْقَى حُطامها في اللَّهيبِ
أنتَ عاتبتَني عَلَى الصَّمْتِ . . فاسمَعْ
نَغماتِ الجراحِ تحتَ الْجُنُوبِ
لا تلُمْني فإنَّ صَمْتيَ شِعْرٌ
ألْبَسَتهُ الأيامُ ذُلَّ الغَريبِ
أنا هَمْسٌ يموتُ في قلبِ ناي
نبذَته الرِّياحُ خَلف الكثيبِ
أنا تَرْنيمة الحزانَى ! أنا اليُتْـ
ـمُ ! أنا الشجْوُ ذائباً في القلوبِ

أنا حَظُّ التراب مِن مَوْكب الدُّنْـ
ـيا ! وفى القبرْ ذرَّهُ من نصيبى
أنا نوْحُ المظْلوم بينَ زحام الدَّ —
هر يَدْعو وَماَلهُ من مُجيب
أنا جُرْحٌ يدِبُّ فى هذه الأرْ —
ض ، وَقد ملَّ عائدِى وَطَبيبى
أنا زَهْرُ النُّعوش ماتَ عبيرى
وغدَتْ بَهجتى رَمادَ الْخُطوب !
أنا صمتُ الكُهُوف يَهْتَزُّ للوحْـ
ـي إذا هَلَّ فى السُّكون الرَّهيب
أنا فَنٌّ مُعَطَّلٌ سَجَنَتْهُ
ثورَةُ الحبِّ فى الغرام الـكئيب ..
فأعيدِى الْحديث يا جارَةَ السِّدْ
ـك ونُوحى لعاشق مَكْرُوب
أنا إثمٌ .. والْحبُّ غُفْرانُ ذَنبى
فاسأليه علامَ ينسَى ذُنُوبِى !!

حين أطرقت ...

« لفها صمت عميق فى مساء يوم من أيام اللقاء ، فبدت فى هالة من الجمال الحزين . . أشبه ما تكون بأغنية سماوية على شفة ملاك نائم ! ! »

أطرقت كالخيال فى خاطر السَّا جى ، وكالنبع فى الظلال الحزينهْ
تتملَّى فى صمتها . . ذاتَ جفن شاعرٍ فى الدجى يواسى شجونهْ
أطرقت ! يا لكربة النّاى من يذ كى هواه ؟ ومن يناغى لحونهْ ؟
من يواسيه إن طغت ثورة القلـ ـب فهاجت لها الهموم الدفينهْ
من له ؟ آه ! من لأنغامه السو د إذا شبّت الليالى أنينهْ ؟
كم شدا فى ظلالها ناعم اللحـ ـن ، وألقى على يديها رنينهْ !
ناغماً بالهوى كقمرية الفجـ ـر ، طروباً كالنخلة المفتونهْ !
ما لهُ عادها فصدّت أمانيـ ـه وظلّت فى الصمت وهى حزينهْ

* * *

طرقت فى الظلام كالأبد الوسـ ـنان ما فرّت الدياجى سنينهْ

صَمْتَةُ الغَيْبِ غلَّفَتْهُ يدُ اللـــهِ ، وأخْفَت عن العقول كمينه
مثْلَ رَيحانة المَساء جفَاها نَسَمٌ منه ، فاستطابَتْ سكونه
يَعْبَق المرْجُ في الدجى من شذاها وَهْيَ وَسنَى بين الرّوابي سَجينَه !

* * *

إيهِ مَنْ تُلْهِمُ الأغاريدَ ، تندى من صفاءٍ .. يا بؤس مَن تُلهمينَه !
ظمىء النّايُ للتغنّي . فهاتي الْـــكَأْس ، وارْوِي لِيَاعَه وحَنينَهْ
أنت في الصمتِ آيةٌ فجّر اللــهُ عليها مِنَ الجلال مَعينَهْ
فاصمُتي أوْ فعاودِي الصبَّ بالسحـــر ! وناغي هُيامَهُ وفُتونَه
بيْتُ شِعرٍ على جبينك غافٍ أيقظَ الصمتُ سِرّهُ وفُنونَهْ
وفؤادي الذي تكشّف نجوا هُ ، وذَرّى على الخيال دَفينَهْ ..
وعلى الأعيُن السَّواجي صلاةٌ أنا منها في خَشْعة وسكينَه
ما لنُسّا كها وجودٌ ! ولكن عابدُ الحُسْن ـ وَحْدَهُ ـ تعرفينَهْ
وعلى الصدرِ هِزّةٌ جاوَبتْها ضَجةٌ في مشاعري مجنونَهْ
خلْتُ منها وزَفرةُ الصمت تغلي نارَ زقٍ من الأسى تنفُخينَهْ
وعلى الثغر جدولٌ مِنْ أغانٍ آه لو في جَوانحي تسكُبينَهْ !
نشَرَت مهجتي القلاعَ على شَطّـــيْهِ ـ شوقاً ـ فرَحْمَتا للسفينَهْ

لم تجِدْ مرْفأً لدَيْهِ سوى الصَّمْـــتِ ، وشَطٌّ مُغَيَّبٌ تَرقُبينَهْ

وظِلال وراءَ كَوْن بعيــد فَجَّرَ الصمتُ في رُباها عيونَهْ

طائِرُها نام في رُفاتِ الأغاني بعدَما أسكرَ التغنّي غُصونَهْ

فَلِأيٍّ من الضِّفافِ سيَمْضي سابحٌ في هواكِ لا تَرْحَمينَهْ !

قد هجَرْتِ الخيالَ والشعرَ والصَّـــمتَ .. وخلَّفْتِ نارَهُ وجُنونَهْ

وامَّحَى كوْنُكِ المجَسَّمُ .. إلاَّ قَبَسٌ من صَبابة تُشْعِلينَهْ

رُحْتِ تُذْكينَهُ من النَّظر السا هي وفي مَعْبَد الهوى تُضْرمينَهْ !

رحمةً بالحبيب ياهالة الوحْـــي ! وزُفّي ضياكِ يُسْني عيونَهْ

وابسمي ! أوتكلّمي ! أو إنْ شئْــتِ فلَحْظاً على دُمى تَنْشُرينَهْ

يُنْشَرُ السِّحرُ والهوى والأماني فوْقَ دُنيا بخاطري محزونَهْ

أو فصمتاً ورفْرِفي حول روحي واسكُبي الوَحْيَ في ظِلال السكينَهْ

أنت نسَّيْتِني هدوئي في الكو خ وأفنيتِ لي ضجيجَ المدينَهْ

وجعلتِ الأكوانَ لحْناً خفيّاً ليْتَ يالوْعةَ المُنَى تعزِفينَهْ !

وترى مات في يدَيَّ حنيناً وغليلُ الهيامِ أبْلى مُتونَهْ

فابعثيهِ من البِلَى يتغنَّى مِثلما كنت دائماً تَسْمَعينَهْ

لفظةٌ منكِ فتنةٌ وحياةٌ تتهادَى بها الأغاني السَّجينَهْ

أنتِ يا سُلوتى على نَكَد الدنيا ، وصَفْوى على الليالى الحزينهْ
شاب عمرى وَلاتَ.. والروح أضحَتْ من أساها يتيمةً مسكينهْ
والزوايا أقمنَ عُرساً لحظّى لا تغنّيتُ مرةً تشهدينهْ !
أتَعايا بشقوتى ! والمزاميرُ بكفّى شقيّةٌ موهونهْ
يتسلّى بنا الوجودُ . ولكنْ سُلوةَ الذئبِ بالشّياهِ السمينهْ
ونُغنّيه مُلهِمين حَيارَى بين رجسٍ ، وغفلةٍ ، وضغينهْ
فاعذُرينى إذا ألحّتْ بى النجوى لصوتٍ مقدّسٍ تكتُمينهْ
فأنا ظامىءٌ . . وصَوتُك للروح عبيرٌ تذيعهُ يا سَمينهْ

الى موسيقى النفوسه !

ابعَثى اللّحْنَ يُدَوّى كيفما شئتِ وشاء
لَنْ تَرَىْ فى الأرض سمعاً يَشتهى هذا الغناءْ
غيرُ سمعى فهوَ من دُنْياهُ فى دُنيا فَناءْ . .
قد تقاسَمْنا بها فى العيْش حَظَّ التُعَساءْ
أنتِ فى الموْكبِ خرْسَاءُ كدَمْع الغُرَباءْ
وأنا فى عالَمى الطّينىّ ذرٌّ فى هَباءْ
هَزَجى صَمتٌ ! وترنيمى لَغْوٌ فى الفضاءْ ؛

[الغـراب]



أَشَيْخٌ منَ الْأَزْمانِ والنَّاسِ ساخِرُ
لِهَوْلِ الَّذِي كابدْتَ ؟ . أَمْ أنتَ طَائِرُ ؟

تَطيرَ منكَ الْعالَمونَ فأَرْجَفوا
بنَحْسكَ ، حَتى قيلَ : بالَحْظِّ كافرُ !
وَما زالَ منهُمْ مَنْ يَراكَ ، كأَنَّما
أحَسَّتْ دَبيبَ الموْتِ فيهِ الْمشاعرُ
وَمنْ يَهجرُ الدُّنيا إذا كنتَ ضَيْفَها
وأنتَ بهذا الْكوْنِ سَامانُ هاجرُ
تُطلُّ بعينٍ مِلْؤُها السُّخْرُ بالورَى
وَأُخرَى بهــا للنَّاس لحظٌ مُحاذِرُ
وَتَستشرِفُ الْوِدْيانَ .. لا قَلْبُكَ ارْتوَى
هُدوءاً ، وَلا اهْتزَّتْ لديْكَ الْمَخاضرُ
وَلا جادَكَ الْفَيْءُ الظليلُ بجَوْسَةٍ
تقَرُّ بها عَيْنٌ ، وَيهدأُ خاطرُ
وَلا الْمَرْجُ حيَّاكَ الْغداةَ بأَيكَةٍ
تُروِّحُ فيها عنْ شجاكَ الْأَزاهرُ
وَلا نلْتَ رِزْقاً لمْ يُغيِّبْ نَعيمهُ
حِذارُكَ أنْ تُلقَى علَيْهِ النواظرُ

فَيَوماً مِنَ النَّاطُورِ[1] تَحْيَا مُفَزَّعاً
تَميلُ . . فَتَثْنيكَ الْجدُودُ الْعَواثِرُ

ظِلالٌ ، وأَثْمارٌ ، وَنبْعٌ ، وَجَنَةٌ
وَصَمتٌ على البُسْتانِ ريَّانُ ناضِرُ

وَخَمرٌ عَلَى شَطِّ الكُرومِ سَجينةٌ
تَكادُ لِنَجْواها تَهيجُ السَّرائِرُ

مُخَتَمَةُ الْأَقْداحِ ، نامتْ غُصونُها
فأيْقَظَها زَفزافُ رِيحٍ مُسافِرُ

تَحَنَّتْ[2] دَوالِيها ، وحَنَّتْ ظِلالُها
إلَى رَشفَةٍ مَخبوءَةٍ لا تُعاقَرُ

وَجُنَّتْ سَوَاقيها ، فأَنَّتْ ، وأَقسَمَتْ
إذا لمْ تَذُقْها لا رَعاها التَّصابُرُ

يَرِنُّ على أعْنابهـا الْفيحِ ساجِعٌ
تُنادِمُهُ كأْسُ الضُّحَى وتُسامِرُ

(١) الحارس (٢) انحنت فروعها

تغنّى بها شادٍ ، وتمتم فى الرُّبى
يمامٌ على عنقودِها النضْر ذاكرُ[١]

كأنَّ[٢] رُباها مُرْضِعاتٌ .. كأنما
عناقيدُها أملاكُ مهْد طَواهرُ

كأن بشطِّ النيل أقْدس حانةٍ
إلى اليوْم لم يلْمَسْ بها الكأسَ فاجرُ

حُرِمْتَ طِلاهَا .. وانتشَتْ برحيقِها
أبابيلُ[٣] منْ نَحْلِ الضُّحى وقنابرُ

وما يفعل الظمآن .. والنبعُ سلْسَلٌ
إذا مالَ والحظُّ المخيَّبُ عاثرُ ؟ !

عُيونٌ بظلِّ الكَرْمِ ياصاحِ أوشكَتْ
تواسيكَ منها أدمعٌ ومحاجرُ

وفرْعٌ منَ الجُمّيْز أطْلَسُ واجمٌ
حَواشيهِ أنْفاسٌ عليْكَ زوافرُ

---

(١) دائم الذكر والتسبيح (٢) أغصان الكرم

(٣) جماعات

وَصَبُّكَ هذا النَّخْلُ . إنِّى أُحبهُ
وَبى مَابِهِ : وَجْدٌ لبلْواكَ ساَعِرُ

تَظَلُّ على عُرْجونِهِ مُتَأَرْجِحاً
خَطِيباً . . فتَحْنو أغْصُنٌ وَمَنابرُ

وتَنْعَقُ فى أظْلالِهِ مُتَصايحاً
فَيَحْسَبُ أنْ شُدَّتْ عَلَيهِ المْزَاهِرُ ،

وَراحَ رَخِيمُ الكَفِّ والصَّوْتِ والصَّدَى
تُنادِيهِ ألْحانُ الْخُلودِ السَّوَاحِرُ . .

فَتَخْشَعَ أهْدابُ الْجرِيدِ كأنَّما
تودِّع نَعْشَ الرِّيحِ مِنْكَ المْنَاقِرُ

وَتأْوِى إليهِ فى الْهجِيرِ فَتَرْتوى
مِنَ الظِّلِّ . . حيْثُ الظِّلُّ أفْيَح عاطِرُ

عَلَى شاطِىءٍ لاماَء فيِهِ . . وإنَّما
مَوارِد خُيَّابِ الحظوظِ مَصادِرُ !

فَتُسْقَى هدوءاً عِنْدَه وسَكِينةً
وأَمْناً لَدَيْه يَسْتَقِرُّ المُهاجِرُ

وتَسْقِيهِ ـ شَأنَ الغـَادِرين ـ لِجاجَةً
وفى الطيْرِ ما فى الناسِ وافٍ وغادِرُ !

نَعِيقٌ ولَغْوٌ أعْجَمَتْ نَبَراتُهُ
وَطالَ . . ولَمْ يَكْشِفْ خباياه ساَحِرُ

تَخَطَّتْه أحْقـابٌ ، ومَرَّتْ أداهِرٌ
وَظَلَّ . . واللغزُ منه لِلْـكوْنِ قاهِرُ

فَمِنْ قائلٍ : بَيْنٌ مُشِتٌّ ، وفُرْقةٌ
ومِنْ قائلٍ : شؤْمٌ عَلَى الأرْض طائرُ

ومن قائِلٍ : لا البيْن ! لا الشُؤْم ! إنما
بهذا الصَّدَى النعَّابِ أوْلَى الْمقابرُ

وَأنتْ ـ كَمِثْلِي ـ هاربٌ منْ فضُولِهِمْ
جَوابُكَ للأكْوَان : إنِّيَ ساخِرُ !

فدَعهُمْ يَلوكونَ الْحدِيثَ ، وأصْغِ لى
فما منهم للسمْعِ إلا التَّهاتُرُ

لهمْ فَلْسَفاتٌ . . أنْتَ ضَلَّلْتَ رشْدَها
بِسِرٍّ تَناهتْ فِي مَداه الْخَواطرُ

وعقلٌ إذا ما رَفَّ سِقْطك[1] ، لم يزَلْ
يراوِغه طيْفٌ مِن الشَّكِّ عابرُ
يَهُمّ إلى الأَستار يَكْشِف غيْبَها
فيَصْعَقه غيْبٌ على الغيْبِ ساتِرُ
وَيمضِي بِكِبْرٍ في الحِجَا فيصُدُّه
ويُرْدِيه كِبرٌ في المقادِير ظافِرُ
فسِرُّكَ لَوْ يَدْرِي الآلَى ظِلُّ ريشةٍ
بعُشِّكَ هاجَتْها الرِّيَاح الزّوافِرُ
ورَقْشٌ على الكُثْبانِ خَلَّفْتَ رَسْمَه
يُذَرِّيه رَمْلُ الزَّعْزَعِ المتَطايِرُ
فَطِرْ في البرارى كيف شئْت . . وَغادِني
إذا عُدْتَ بالغيْبِ الذى أنت ناظِرُ
فما لك غيْرِى فى البرايَا متيَّمٌ
وإن كنتَ تجفو عزلَتِى وتهاجِرُ[2]

---

(١) جناحك (٢) من الهجر

وَلى فيك دنْيا منْ خيالٍ بظلِّها
زَوارق للشطِّ الخفىِّ سوائرُ
حَدَتهُنَّ ريحٌ منْ مسابحِ عبقرٍ
بمثْلِ صَداها ما تغنَّى مُسافرُ
إلَى الخلْدِ أوْ منْه تهبُّ . فواتِنى
بعلْمِك عنها ، إنِّى اليَوْم حائرُ
لهَا الْوَحْىُ نوتِىٌّ ، وَظِلٌّ شِراعها
على الدهْر ممْدود التَّظاليلِ غامرُ
عَبَرْتُ بِها الأَجيالَ أنْشُد شاطِئ
وَدُونَ مَداه أتْعبَتْنى الْأَداهرُ
فياراهِبَ الأزْمانِ كشِّفْ ستُورَها
وأفْصحْ .. فإنَّ العقلَ حيْرانُ سادرُ
ودعْنى وسرًّا فى اللَّيالى دفنْتَهُ
سَيبْعثُه نَاىٌ بكفَّىْ صافرُ
وَإلهامُ شِعرٍ بينَ جنْبىَّ دافِقٌ
عليْهِ رَحيقُ الخلدِ سكْرانُ ساكِرُ

إذا أنا لم أكشفْ سرائرَكَ التى
شدَهْتَ بها الدُّنيا ، فما أنا شاعرُ ! . .

تعالَ فطارحْنى الأحاديثَ فى الْورَى
فَمَنْ دهرِهِمْ فاضَتْ لدَيْكَ النَّوادِرُ

عَبَرتَ فضاءَ اللهِ منْ عهْدِ « آدمٍ »[1]
وَمنْ قَبلِهِ مَلَّتْ خُطاكَ المَعابرُ

وجئتَ بأمرِ اللهِ فى الأَرض هادياً
تُدارى وتأسو ما جَناهُ التَّناحُرُ

رأيتَ طَرِيحاً فى التُّراب مُعفَّراً
تنوحُ عليـــهِ السَّافِياتُ الثَّوائرُ

هُوَ الْبَذْرَةُ الأولى على الشاطىء الذى
بِمَسراهُ شَلاَّلُ المَنِيَّـــاتِ هادِرُ

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى قصة قابيل وأخيه : « فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ، قال : ياويلتا ! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى ؟ ! »

تمرُّ بهِ الأَيامُ خَرْساءَ رَهبَةً
كما فى رحَابِ القُدْسِ أطرقَ سائرُ
وَيهوى به رَكْبُ الحياةِ ، كما هَوى
من الأفقِ نجمٌ كفَّنتهُ الدَّياجرُ
هوَ الرَّشفةُ الأولى « لعِزْرِيلَ » منْ دَمٍ
بهِ الأثمُ دفَّاقٌ منَ الإِنْسِ فَائرُ
هوَ الكَرْمةُ الأولى على ملعَبِ البِلى
تَحَسَّى حُمَيَّـــاها تقيٌّ وفاجرُ
هوَ الموْتُ ! ساقٍ فوقَ أعتابِ حانِهِ
سَواءٌ صعَاليكُ الورَى وَالقياصِرُ
يموتُ ضياءُ الشَّمسِ إنْ مسَّ دنَّهُ
ويفنَى البلى إنْ لا مَسَتْهُ الحفائرُ . .
رأيتَ صريعاً ذَاقَ منْ فيهِ قطرَةً
فَنامَ . . ومِنْ بلْواهُ « قابيلُ » ساهِرُ
ينادِى له الدُّنيا : تعالىْ ! وَستِّرِى
منَ الأرْضِ جُرحاً أَثخنتْهُ الهواجرُ

قَتِيلٌ بكَفِّي . . رُحْتُ نَدْمانَ فوقَهُ
وَكادَتْ لِمَرآهُ تُشَقُّ المرائرُ

على التُّرْبِ عُرْيَانُ الفناء كَأَنَّهُ
فَنَاءٌ لِدُنيـــا الآدَمِيِّينَ سافِرُ

أَكادُ وَقد كَفَّنْتُهُ بخواطِرِي
ـ وفي الكَرْبِ قد تأسو وتُبرِي الخواطرُ ـ

أُفُضُّ له مِنْ مُهْجَتِي سابريَّةً
تُغطِّيهِ . . لَكِنِّي من الضَّعْفِ خاسرُ !

أ « هابيلُ » ! ما ذنباً جنَيْتُ على أَخِي . .
ولَكِنَّ سَهْماً أنفذَتْه المقـــادرُ

وَيارَبِّ ! غُفْرانَ السماءِ ، ورَحمةً
وَسِتْراً . . فمالي غيرُكَ اليومَ ساتِرُ !

فيـا كاهِنَ الأَيَّامِ جِئْتَ معلماً
« لِقابيلَ » . . يَقضي بالذي أنتَ آمِرُ

دُعِيتَ بأمرِ اللهِ تحفرُ في الثرى
فتسكُبُ نورَ الرشدِ منك الأظافرُ

نقشتَ على الكُثْبانِ خطّاً تهلّلَتْ
وقرَّتْ لمرْآهُ النُّفوسُ الحوائرُ
فواريْتَ للإنْسانِ فى مثلهِ أسًى
وَيأساً ، وَسُوءاً ماوَعتْهُ الكبائرُ
وأصْبحَ تابوتَ الزَّمانِ .. ومضْجَعاً
على مَهدهِ يُغفي الأَلَى والأَواخرُ
عَشِقتُ كَراهُ ، غيْرَ أَنِّى أخافُهُ
وأخْشى لِيَنْسانى البِلَى وأُحاذرُ
فأحْلُمُ بالدُّنيـــا كما كُنتُ فوقها
وتفدَحُنى منها الخطوب الجوائرُ ..!

* * *

سلاماً قَسِيمى فى الحظوظِ .. وصاحِبى
وقد أرْخصَتْ عهدى القلوبُ الغوادِرُ
عشقْتكَ مُنْذُ النَّخْلُ مدَّ ظلالَهُ
علىَّ .. تُعادِينى وبِهِ وتُباكِرُ

وَتَسْبِقُ حَبْوَ الشمس فوق جَريدِه
لِيَخْتَلِسَ الأثمارَ فى الروضِ ما كَرّ

وَمُذ كانَ لى فى « الكوخِ » عهدٌ فقدْتهُ
فسلْ عنه . . تُنبيكَ الليالى الغوابرُ

صَلاتى به فى سُنْبل الحقـــــل لم تزلْ
تسابيحُهـــا تغذُو المنى وتُسامرُ

وَنَوْحى على الدُّولابِ دارتْ بشيْخِهِ
صروفُ الليالى ، وَهْو فى الذلّ دائرُ

قَواديسُه تَرْوِى الرُّبى وَهْو ظامئٌ
وَأنّاته جَزّاعَةٌ وهْو صابر

وَفِى مَرجهِ « الفلاحُ » يَشْدو قَناعةً
وتَشدو بجفنَيهُ الدموعُ الْهوامِرُ

سَليبٌ من الأَسْتار إلا ذؤابَةً
عليها صُراخُ البؤسِ فى الكَوْنِ ساعِرُ

وَفأسٌ بكَفّيْهِ يكادُ حَديدُها
يَسِيلُ . . ! ودمْعُ الظالمين مُكابِرُ

يُخطِّط فى الْقيعانِ أسطارَ شقوةٍ
لها الظُّلْمُ وَحْىٌ بالرَّزيَّاتِ هامرُ
قصائدَ منْ شعْرِ الْهوانِ نَشيدُها
إذا رَنَّ ماتتْ فى أساها الْقياثرُ
لها عرَقُ المِسْكينِ دَمعٌ أذالَهُ
مِنَ الْقلْبِ ظلاّمٌ على الأَرْضِ جائرُ
مرَاثٍ أصمَّ النَّاسُ عنْها جنانَهمْ
ورَنَّتْ بها فوق السِّياجِ العصافِرُ
لأقسمْتُ ياشيْخَ الْعصورِ تُذيعهـــا
وتنْمى بها فوْقَ السُّها وتُجاهرُ
فقدْ طال نِسْيانُ الْورَى لأنينها
ورَنَّتْ بشكواها الطُّلولُ الدَّوَاثرُ . . .
وعِطرٍ لديْهِ الطِّيبُ نَشْوانُ ذاهِلٌ
تجنُّ عليْهِ فى الذُّهُولِ الخَواطِرُ
على أغْصُنِ « اللَّيْمونِ » غنَّى خَياله
فضاعتْ بأحْلامِى لديْهِ المجامرُ

رشفتُ شذاهُ مرّةً فلحظتَنِى
فتيّمتَ إحساسى وطرفكَ ناظر
وأوشكتُ أجثو من خشوع ، فخِلتَنى
عدوّكَ ... فازورّت لديك النواظرَ
وَدِرتَ .. وخلّفتَ الخيالَ وذكرةً
على العشبِ تُشجيهِ .. فهل أنتَ ذاكرُ ؟!

* * *

أُحاجيكَ .. ما قِسّيسُ دَيْرٍ مُسُوحهُ
وشائعُ من فنٍّ السماءِ سَواحرُ ؟
تشيبُ لِحَى الأحقابِ وهْىَ شبابها
على الدّهر جُنحٌ أسحمُ الصِّبغ عابرُ
ويفنى ظلامُ الليل وهْىَ ظلامُها
خِضَمٌّ على آبادها يتقاطرُ
تسابيحُهُ فى الدّيْر « غاقٍ !! » وإنّها
لأُسْطورَةٌ مجنونةٌ تتهاترُ .

له صلواتٌ في البَرَاري ، وعُزْلة
تُساءِلُ عَنها في الجبـــالِ المغَاورُ
وَنَوحٌ على صَمْت الـكهوفِ كَأنَّهُ
يُؤَبنُ ميْتاً شـــيعته السَّرائرُ
وزَهْدَ على «سِدْر» الصَّحارَى كأنَّهُ
على رَمْلها أحلامُ جِنٍّ سَوا كِرُ
وَنَثرَ على الأكْفانِ وَالجثثِ التى
جفتْهـــا ولم تَستر رَداها المقابرُ
وَحجْلَ إذا ما سارَ تَحسبَ نَقشَهُ
أنَابيشَ رمال غزَتْهـــا الأعاصِرُ
فياراهِبَ الأجيالِ إن كُنت مِثلما
نَعتُكَ .. فَليشْفِ الغليلَ التنادرُ
أجبْنى على أحْجيَّتى .. وَاحْكِ مِثلَها
فمِنْ فيكَ يحلُولى الصَّدَى والتَّسامرُ ..
فقالَ : أنا القِسّيسَ والكَوْنُ مَعبدى
وَبالشّرْع فى دِينى ، البرَايا كَوافرُ !

فأنصِتْ لِنَجوايَ الغَداةَ ، لَعَلَّما
يُهدْهِدُ جُرْحاً فى حشاى التَّناظُرُ :

أحاجِيكَ .. ما طيرٌ على النِّيل شاردٌ
جفَتْه عِشاشٌ فى الحمى وَمَعابرُ

يَرِفُّ على الأكواخ تُدْمى نَشِيدَهُ
أماسٍ صريعاتُ المنى وبَواكرُ

تَغَنَّى طَويلاً بالأَسى فى ظِلالهاَ
فغَصَّتْ بأنَّاتِ اللُّحونِ الحناجرُ

وَمالَ إلى دُنيا الحضَارةِ نجمُهُ
فأشْجَتْه أطماعٌ بها وَتَهاتُرُ

وَقومٌ على زَيْفِ المناصِبِ حوَّموا
وَهاجوا على بُهتانها وَتَناحَرُوا

وَمن خلفهمْ جيشٌ ــ من البؤس والضَّنَى
وَهوْل العوادِى ــ مضْرَمُ القَلْب ثائرُ

فُلولٌ من الأبشار ساقَ حُطامَها
وأغْرقَه لجٌّ منَ الظُّلْم زاخرُ

وَقَطْعَانَ إِنسٍ لِلْفجورِ تواكبتْ
كما دَفَّ سِرْبٌ لليَنابيع صادِرُ

فرُوِّعَ قَلبُ الطيرِ منها .. وأصبَحَت
قَياثيرهُ خُرْسُ الأغانى خَوادِرَ

فمالَ إلى عشٍّ تَحِنُّ لطُهرهِ
وَتهفو إليهِ فى الْبُروج الحرائرَ

به صَبَّةٌ عذراء من طبها ارتَوتْ
وضاعت على نسكِ الغَرام المَباخرَ

أسَتْ جُرحَهُ الدامى ، وَواستْ شُجونَهُ
وَنَسَّتهُ ما جَرَّتْ عَلَيهِ الحْواضِرُ..

وَدارَت عَلَى الْعشِّ الليالى فأضرمتْ
بدُنياهُ أنفاسُ الرِّياحِ السَّواعِرُ

فأَصبحَ مفطورَ الأَغانى مُشَرداً
على الأُفْق طيرٌ عَن مغانيه نافرُ!

أجِبْنى على أُحْجِيَّتى . وَانْضُ[١] سِرَّها
فإنْ لمْ تُكَشِّفْهُ فما أنتَ شاعرُ !
فَقُلتُ : أنا الطيرُ الشَّريدُ ! وَهذهِ
بلادِىَ يشقَى فى حِماها العباقرُ
أعيشُ بها أستمرىء الحظَّ صُدْفةً
كما عاش من سَفْى[٢] البَيادر طائرُ
فلا الحظُّ وَاتانى ! ولا اليأسُ صدَّنى !
كأَنِّى على خُضْرِ الروابى مُقامِرُ !!



(١) اكشفه .
(٢) ما تسفيه الرياح من البيادر . ويندر حبه .

الذهول

نامَ السَّنا فوقَ ضِفافِ الذُّهول
.. يا لَيْتَهُ يَصْحو !
كَأنَّهُ زَنْبقَةٌ في الْحُقولْ
.. أسكرَها الصبْحُ !
أوْ نجْمةٌ بيْنَ ثنايا الأُفولْ
.. ماتَ بِها اللَّمْحُ !
أوْ نَسْمةٌ قيَّدها في السُّهُولْ
.. مِنْ شَمْسِها لَفْحُ !

* * *

نامَ ..ولكِنْ يقْظةٌ في الضَّميرْ
.. مِثلُ السَّعيرْ !
الْوَجهُ ساجٍ كصَلاةِ الغديرْ
.. بين الطُّيورْ !
وَالْقلْبُ شَلَّالٌ عَتِيُّ الْهدَيرْ
.. فوق الشُّعور !
يا لَهفتَا ! والْجَفْنُ حُلمٌ غَريرْ
.. أمْ طَيْفُ نورُ ؟!

* * *

حُلْمٌ طَوَاهُ فى الأَسَى والذُّبُولْ
.. مِنْ لوْعَتِى جُرحُ !
أَمْ دَمعَةٌ حَيْرَى بِجَفْنٍ كَلِيلْ
.. أَتعَبَهُ النَّوْحُ !
أَمْ بُلبلٌ تَحْتَ ظِلالِ النَّخِيلْ
.. أَسكَرَهُ الصَّدْحُ !
فَنَامَ .. وَاستَلْقَى عَلَيهِ الأَصِيلْ
.. والظِّلُّ والدوْحُ !

***

أَم جَدْوَلٌ فِى شَطِّهِ لِلعُصُورْ
.. كَأْسٌ تَدُورْ !
أَغفَى عَلَيْه ، وتَحَسَّى الشُّعُورْ
.. خَمْرَ الدُّهُورْ !
ورَقْرَقَ الطِّيبَ لهُ والعُطُورْ
.. قَلْبٌ طَهُورْ !
وَيْلَاهُ ! هل مِنْ رَشفَةٍ يا خُمُورْ
.. المُسْـــــتَجِيرْ ؟ !

سَهْوان يا حُسْنُ ، شَدَهْتَ العقولْ
.. فَلفَّها بَرْحُ !
أذابَ أحلامَكَ يَومَ الرَّحِيلْ
.. بين الْحَشا جُرْحُ !
أمْ هاجَها في الْأُفْق طيفٌ جميلْ
.. سرَى به نَفحُ !
فاسْتَيقَظ الشَّوْقُ ! ونَامَ الأَصيلْ
.. والْمَرْجُ والسَّفْحُ !

***

سَبَحْتِ في دُنْيا عَلَيها يَطيرْ
.. قلْبي الكَسِيرْ !
وذَاعَ مِنْ جفْنيكِ فيهَا عَبيرْ
.. دَامٍ حَسِيرْ !
بَيضَاءُ ، أغْيَانِي إليْها الْمَسِيرْ
.. يَا لَلْمصيرْ !
فَمُدتُ والخَيْبَةُ تَسقِي الشُّعورْ
.. صَمْتَ القُبورْ !

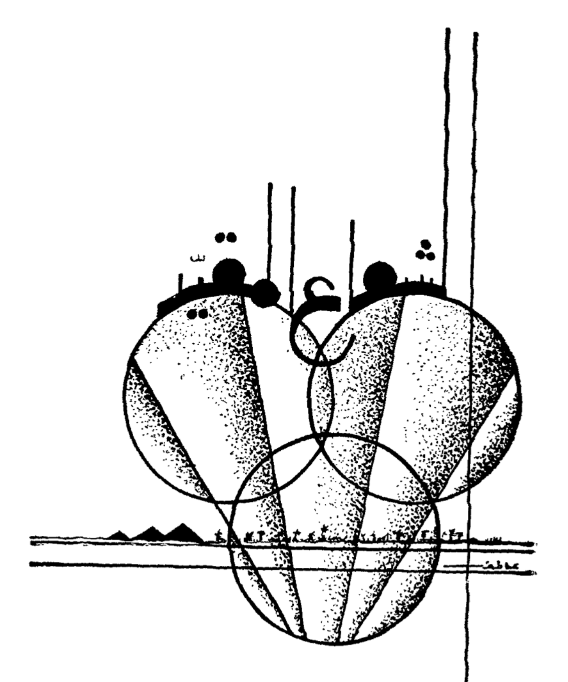
أُغْنيَــــةٌ ذابلَة!!

غَنَّيْتُ لَمَّا شَاقنى المُلتقَى
باسْمِك – فى الحِرمانِ – يا زَهْرَتى!
فمات لَحْنى فى شفاهى! وما
حَظِيتُ بالسُّلوانِ منْ غُنْوَتى:
عَبَدْتُها . . رُوحاً إذا رَفرفَت
طهَّرتُ فى أنْوارِها سَجدتى
لا بَهجةُ الدُّنيا، ولا صفْوُها
يَشغَلُ عن تَقديسها فِكرتى
فى كلِّ لمحٍ من سَناها هوًى
وفِتنةٌ جُنَّتْ بهــــا فتْنتى
وكُلُّ نَبْرٍ من صَدَى صوتِها
دُنيا من اللَّحن بقَيْثارَتى

عَبَدتُها . . ما بالُ مَن أرْخصَتْ
رُوحى لهــا تُمعِن فى جفوَتى ؟
بَيْضاءُ كالفُلِّ سِوَى أنَّهــا
خالدةُ الأنفـــــاس فى نـكهتى
قُدسيَّةُ الألحـاظِ إمَّا رنَت
قَبَستُ من أجفانهــا عِفتى
كم سامَرَتْ رُوحِى تَحتَ الدّجى
فى غيرِ ما إثمٍ ولا ريبة !
وألْهَمَتْنِى الشِّعرَ . . هل أسْمعَتْ
أُذْناكَ لحناً مِن شَذَى وَرْدَةٍ ؟!

الصَّديق ؟ !

سألتُ عنه .. فقالَ الْوهْمُ — مُرْتبِكاً — :
رُفاتُ أسْطورَةٍ كانَتْ تُسَلِّينى
دَفَنْتُها فى خَيالى يوْمَ أنْ عَصَفَتْ
بىَ الْهواجِسِ فى أحْلامِ مَجْنونِ !



« إلى هالة الوطنية التى تتفجر أنوارها من تمثال
رسول الجهاد الأول مصطفى كامل . . وهو
يرسف فى قيوده بين ظلام النسيان والجحود »

خُذْ أماناً منَ الشُّعاعِ المُقَيَّدْ
فهْوَ فى القيْدِ جَمْرةٌ تتوقدْ

أو فَذقْ منْ شُواظِهِ اللَّهَبَ الْحُرَّ
[م] فأنتَ المقيّدُ المســـتعبدْ
ذُقْ شُواظاً لوْمَسه صَاهِرُ الأغْـ
ـلالِ أضحى بنارِه يتعبَّدْ
مِن حَواشى الرَّخام يسطعُ اللأَحْـ
ـرار ديناً يَهْدى العبادَ ويُرشِدْ
هوَ نورٌ لـكنَّه فى ظلامِ السِّـ
ـجنِ نارٌ على القُيود تعَربدْ
مِلْء ذرَّاتِهِ أناشيدُ مَجْـــدٍ
بصداها مُحَرِّرُ النيـــل أنشَدْ
ذَرَّةٌ ترْعِبُ الحدِيدَ علَى الصمْـ
ـت! وَأُخْرَى فى الهَوْل تُرْغى وَتُزْبِدْ
فلَّلتْهُ بالأَمْسِ كَفٌّ ضَلولٌ
تَنْصُرُ البَغْىَ بالْحُسام المجرَّدْ
شَدَّ طُغيانَها عتىٌّ من الغرْ
بِ ، على النِّيلِ كم طغَى وَتمرَّدْ

حلَـكَتِهُ — والمُلْكُ لله! — دُنْيـا
ظِلُّهـا عاجلُ الفنـــاءِ مُبدَّد
فمضى فى مَسابِحِ الشَّرْقِ كالأَقْ
ـدار يُشْقى كما يَشاء ويُسْعِدْ!
كَمْ عَدا فاتِكاً! وأَحكَمَ أَغْلاَ —
لاً عليها الرِّقابُ فى الشَّرْقِ تَشْهدْ!
فى «فِلَسْطِين» ظُلْمُهُ أَقلقَ الدُّنْـ
يا وَما هَزَّهُ الصُّراخُ المرَدَّدْ
وعلى «مصرَ» كم أَذَلَّ! وأَرْدَى!
وتَمَطَّى على النُّجومِ وَهَدَّدْ!
عبقرىٌّ فى الخَتْلِ يُدْمى وَيرْتَـ
[م] ـدُّ على الجُرْحِ باكياً يتوجَّدْ
كم سَقَى النِّيلَ مِن ضَروَاتِه الهوْ —
نَ وعيشاً من المذَلَّةِ أنكَدْ!
وتَمادَى.. فكُنْتَ يا «مُصْطفى» الهوْ —
لَ على هوْلِه تَثورُ وَترعِدْ

فى غَباءِ السنين ! والنِّيل مُغفٍ !
وبَنُوهُ من سكْرَةِ الضَّيم هُجَّدْ
قُمتَ كالْعاصف المجَلْجِل تجتا ـ
ـح فلا تنثنى ولا تتردَّدْ
تُلْبِسُ القيْدَ من جنَانكَ قَيْداً
حَزُّهُ فى الحديدِ نقشٌ مُخَلَّدْ
هتفاتٌ بِحُبِّ (مصر) وَموْتٌ
فى هَواهَا ! ونشوَةٌ ! وَتعبُّدْ
وَصلاةٌ بمجدِها .. كُنتَ فيها الـ
ـعابِدَ الصَّبَّ ، والشواطئ معبَدْ
وَذيادٌ عن حُرمةِ الوطن الشا ـ
كى بعزمٍ « كَنيلهِ » ليس ينفَدْ
وَدِفاعٌ عن الحِمى كُنتَ فيهِ
ما لِغيْرِ الحِمى تَرومُ وتَقصِدْ
فارسٌ فى قتَامَةِ النِّيل تمضى
بشِهابٍ منَ السَّماء مُؤَيَّدْ

مِشْعَلٌ فى يدَيكَ شَرَّدَ بالأضْـ
ـوَاءِ جُنحاً على الشَّواطىء أربَدْ
كنتَ تَسرى به فتنهضُ فَانِيـ
نَ عليهم شيْخُوخَةُ اليأْس تَقْعِدْ
بضياءٍ منَ الهُدَى أنعشَ الشَّرْ
قَ وطَرفُ الزَّمانِ فى «مصر» أرمَدْ
وَبَيــانٍ كأنه لهَبُ «البُرْ
كانِ» تختارُ جمرَه وتُنَضِّدْ
كلُّ لَفظٍ منَ الصراحةِ سَهمٌ
فى حَشا الغاصبين مَاضٍ مُسَدَّدْ
هَاتِ لى مِن صَداهُ نبراً، لَعَلِّى
أنفثُ النَّارَ من صَداىَ المُفَرَّدْ
هاتِهِ فالجحودُ وَارَاه فى سِجْـ
نٍ على شاطىء الليالى مُشَرَّدْ
فى زوايا النِّسْيان قبرٌ .. وَذِكرٌ ..
ورَخامٌ فى الصَّمْت لهفَانُ مُكْمَدْ

كاد يَنضو الأستارَ عنه وينْمى :
أنا رَمزُ الفَخار يا « نيلُ » فاشهدْ !
أنا علَّمتُكَ الوُثوبَ على القيْـ
ـد ! وعَلَّمْتنى الأسَى والتَّنَهُّدْ !
ما الذى فى الضِّفاف نَسَّاكَ رُوحاً
ذَاقَ من أجْلكَ الرَّدَى واستشهدَ ؟
أشيُوخٌ على الكَراسِىِّ هاجُوا
وَهْىَ منْ هَزْلهم تَميدُ وَتَرْعَدْ !؟
أمْ شبابٌ على تُرابكَ يَمْشى
حَول ساقَيْه كالأسير المصَفَّدْ ؟
خانعٌ فى حِماك .. ينتظرُ البَعْـ
ـثَ ليمضى إلى الأمام وَيَنهَدْ
عَلَّموهُ . والرِّزقُ فى «مصر» رَهْنٌ
بِرَجاءٍ ! وذِلَّةٍ ! وتَودُّدْ !
كيفَ يُلقى بعزمه تحت نَعْلَيْـ
ـه وفى الذلِّ يستَنيمُ ويَرقُدْ !!

ما الّذى فى الضِّفاف نَسّاكَ يا « نيلُ »

(م) هَوى ذلك الشُّعاعِ المقيَّدْ ؟

فَنحتَ التِّمثال شِبراً . . عليه

تائهُ الدُّود فى البِلى يتمرَّدْ !

وَحرَمْتَ الجهادَ فجراً من النُّو—

ر . يُهَدِّى إلَى عُلاكَ وَيُرْشِدْ ؟ !

آهةُ شَقىّ !!

ضاقَ عَيْشى ، وضاقَتُ الأَرْضُ حَوْلى

وانحنَتْ من شقاء عُمْرِى الأَهِلَّهْ

وَنَشَدْتُ الْمُنَى فوَلَّتْ هَباءً . .

« ربِّ ما هذه الحياةُ الْمُمِلَّهْ !! »

يُغَنِّي عَلَى أَمَلٍ ، وَيَصْحُو ظَافِراً . . .

« أنشدت فى الاحتفال بتكريم الأستاذ
« سعد اللبان » فى فندق الكونتننتال »

لاسِحرُهُ يفْنَى ، ولا إلْهَامُهُ ... لَحْنٌ على الأبطال رَفَّ سَلامُهُ

مُترنِّحُ الأصداء ، فوقَ نشيده ... عِنَبُ الخلودِ ، وكأسُه ، ومدامُهُ

يهتزُّ فى الدنيا .. فتحسَبُ راجزاً ... من دارةِ الجوْزاءِ هلَّ بُغامُهُ

للنِّيل لوعته تؤَجّ ، وللذى ... يُعْلى منارَتَهُ يَلج هُيامُهُ

فإذا غَفا بالشَّطِّ سَجْعُ رَبابهِ ... سَطعتْ بنُوّار الضّحَى أحلامُهُ

نشوانَ يسكبُ رُوحَه فى راحه ... أقصِرْ مَلامَكَ أنْ يُفيقَ غرامُهُ !

جوَّاب آفاق الخيال ، كأنه ... سِربٌ إلى الفردوس طارَ حمامُهُ

كم رامه شادٍ ، فأقصرَ دونه ... وشأى فحلَّق فى النجوم مَرامُهُ

حتَّى دعا الدَّاعى إليكَ فهزَّه ... رَجْعُ النداء ، وصفَّقتْ أنغامُهُ

هاتِ العُلاوالمجدَ .. واسألْ نايَه ... تَلْقَ الملاحِمَ زفَّها إلهامُهُ

* * *

قَلبٌ تنفَّسَ للعَلا خَفَقانُهُ ... كالموْقد المَشبوب أزَّ ضِرامُهُ
مُتَوَثِّبُ الخطُواتِ تحسَبُ آيةً ... للطير تشْرَحُ سرَّها أقدامهُ
يُغْفِى على أملٍ ، ويصحُو ظافراً ... فكأنما وصَلَ الجِهادَ مَنامهُ
وَيظَلُّ تصطفقُ المنَى بجنَانه ... كالشاطىءِ المَوْرُودهاج زحامهُ
وَلْهىَ على الظفَرِ الحبيب تثور إنْ ... خدعَ المُلِّلَ بالهدوءِ كلامهُ
إن شارفَتْ أملاً يُجَنُّ جُنونُها ... حتى تُرفْرفَ فوقَها أعلامهُ
هى فى الضلوعِ مُنًى سوا كِنُ ، إنما ... هيَ فى الوغَى جيشٌ يضجُ لُهَامهُ
أسْرَى بها قلبٌ يفيضُ توثُّباً ... وحماسةً شهدتْ بها أيَّامهُ
قالوا : نكرِّمُه ! فقلتُ : رُوَيْدكم ! ... منْ قبلُ كَرَّم عزْمَهُ إقدامهُ
بَرِمَتْ عزائمُهُ بشرعٍ ، مُرسَلٌ ... لِلْقانعينَ من الرِّجال نِظامهُ
القَيْدُ فيه — وإن جهِلْتَ حديدَه — ... فى الرُّوح تَندُب حظَّها آلامهُ
فمضَى تُدَرِّعُ لِلنِّضال حياتُهُ ... وتُراش للوطَن المهيض سِهامهُ
ضرَبتْ عزيمتهُ المثال لموْطنٍ ... أودَى به فى الشاطئيْن سقامهُ
دِينُ الوَظائف — والبلاد فقيرةٌ ... لِلجُهد — قد بَطُلتْ هُنا أحكامهُ

* * *

«دارَ النِّيابة» قد أعزَّكِ جانبٌ ... للعلم يَشْمَخُ فى ذَراك مُقامُهُ

كم ذاق قبلك ظامئ من نبعه ... فيضاً سيوردك المنى سجامه
فسلى ضفاف «السين» غرس جهوده (١) ... ينبيك محراب الهدى وإمامه
وسلى الحمى تنبيك عنه جرأة ... فى الرأى يدرك هولها أخصامه

***

يا «سعد» والوتر الذى أشدو به ... كم هز قلبك ما برت أنغامه
ولكم أسيت لحظه وغضبت أن ... تزن الهباء بأرضه أقسامه
فاسمع به نغم الوفاء .. فإن ونى ... فعلى بيانى لا على ملامه !
مثل الجهاد الحر أنت بشاطئ ... ظمئت لمثلك فى الحمى أنسامه
لك هدأة الغدران رق نسيمها ... والظل تمتم فى النخيل يمامه
وإذا تثور فمن جنانك منبئ ... نفس اللهيب، وأزه، وضرامه
فانهض بعزمك فى ظلال مملك ... زخرت بأعياد الحمى أيامه
«فاروق» ! والدنيا تعز بعرشه ... ويتيه فوق جلالها أهرامه
الشرق ملكه الزمام .. وشعبه ... فى النيل مشتعل اللهيب هيامه !

---

(١) حينما كان فى صدر شبابه مستشاراً للإدارة الشرعية والدينية فى المفوضية المصرية بفرنسا .

٥ ـ شـــعر . . .

. . شعرٌ لو أنَّ الجنَّ تسمعُ شدوَه
سَجَدتْ لدَى جنِّ الصدَى أرواحُها

وَلو أنَّ همْس نشيدِهِ فى حَانةٍ
خَشعَ النِّدامُ ، وكَبَّرتْ أقداحُها

وَلو أنَّ سِحْرَ بيانهِ بمفَازَةٍ
لَمضَى يُسَلسلُ لحنَهُ صُفَّاحُها

وَلوْ أنَّ تهويلَ الْخيال بِسَاحةٍ
خَلْفَ الغيُوب لفُزّعتْ أشبَاحُها

قدْ سابَقَ الأَرواحَ فى وَثَباتِهَا
وَشَـآى فعُطِّلَ عنْ صَداهُ جماحُها . .

فإِذَا يَرقُّ حَسِبتَهُ قُمْرِيَّةً
قدْ هَاجَ أحلامَ الضُّحى تَصْدَاحُها

أوْ نَغْمَةً فى ثَغْرِ حَادٍ مُدْلِجٍ
بَيْنَ الكَرَى وَالصَّحْوِ ذَابَ صُدَاحُها
عَذْبُ الخفيفِ عَلَى القُلوبِ كأنَّهُ
دُنيَا أمَانٍ قَدْ زَهَا إصبَاحُها
خَمْرٌ . تَحَدَّ الخَمْرَ فيهِ ! وقُلْ لهَا:
ما كَرْمَةُ الدُّنْيَا ! وَمَا تُفَّاحُها !
وَإِذَا يَثورُ بِجَنَّةٍ مُخضَلَّةٍ ،
زَأَرَتْ بأنفَاسِ اللهِيبِ بِطَاحُها
نورٌ ! ونارٌ . . رَوْضَةٌ ! وَجَهَنَّمٌ
وسُطُور فَنٍّ مُعْجِزٌ إفْصَاحُها
هذا الَّذِي يا نَايُ تَجْحدُ سِحْرَهُ
دُنْيا تئزُّ بِجَانِبَيَّ جِراحُها . .

دمعة وفاء ! . .

« . . على فقيد « دار العلوم »
المرحوم « أبي الفتح الفقي » !

ماتُرَى يا حزينُ تشدو المزاهرْ | بعد ما خُدِّرَتْ بلحن المقادرْ !
لا ترُمْها شوادِيَ النَّغم العذْ | بِ ، طِرابًا بالأغنيات السوَّاحرْ
عبثٌ في الغناء أنْ يُنسيَ الكرْ | بَةَ أو يُوهِنَ الفجيعةَ زامرْ
مَن يكنْ لحنُه يهزُّ الحنــايا | فلحونُ الردى تذيبُ المرائرْ
وإذا الشاعرُ الطَّروب تغنَّى . . | فالهُ عنهُ ! ! فالموتُ أبلغُ شاعرْ !

***

طُفتُ في ساحة البيان وقلبي | واجفُ الحسِّ ، مستطارُ المشاعر
والضحَى واجمُ الظِّلال ، كسيفٌ | باهتُ النُّور ، مطرِقُ الزَّهر ، سادرْ
جمَدَ الطلُّ في الكمام وماتَتْ | فوْحَةُ العطر في جيُوب الأزاهرْ
ورمَى الطيرُ عودَه غيرَ ندْما | نَ عليه ، وعاف ضَرْبَ القياثرْ

كلّما خفّ هائجٌ من أغانيـــهِ تعايا فذاب طيَّ الحناجرْ !
سكنَتْ في المشاش عصفورةُ النيــل . . وشلَّ الأسى مراحَ القنابرْ
وكأنَّ السماء خيمةُ شيخٍ شدَّ أطنابها حيالَ المقابرْ
غمرَ الثكلُ روحَهُ بعماءٍ وشقاءٍ ووحشةٍ ودياجرْ
لا يُحِسُّ الحياةَ إلا زفيراً نفختهُ الشجونُ حولَ الحفائرْ !
إنها صرعةُ الفناء أثارَتْ كلَّ قلب ، وأذهلَتْ كلَّ خاطرْ
طلْسمَتْ سرَّها الغيوبُ وأرْختْ دونَها للورى كثيفَ الستائرْ
طمحَتْ أعيُنٌ إليها ، فردَّتــها سراعاً إليَّ حَيْرى حواسرْ
ما لها سلْوَةٌ عن الحزن إلاَّ سيْكبٌ من مرقرق الدمع مائرْ
قلبَتْ طرْفَها طويلاً فلم تُبْـــصِرْ سوى لمعَة الدموع المواطرْ
تتهاوى حيالها من عيونٍ كاسفات من البكاء غوائرْ
يا « أبا الفتح » كنتَ هالة نورٍ قبسَتْها فأشرقت في البصائرْ !
غبْتَ عنها .. ولم يغبْ لك ومْضٌ زاخرُ اللمح خالدٌ في الضمائرْ !
أنمُلاتُ الطبيب راحَتْ تُواسيـــكَ من الداء وادعاتٍ غرائرْ
خدعَ الحلمُ طرْفَها فتهادَتْ فوق جنبيك تبتلي وتغامرْ
فإذا راحةُ المنيَّة صدَّتْـــها فخرَّتْ على يديْها صواغرْ

زَيْحها! لو نَضَتْ حجاب المنايا عرفتْ أنها لديْه تُقامرْ!

هلَّلتْ للرَّبيع زَنْبقةُ الرِّيــــفِ، وماستْ لهُ الورودُ النَّواضرْ

فتهاديتَ كالشعـــــاع إليها تنشدُ العيشَ في الظلال الزواهرْ

سَجْوَةً تحتَ أيْكها اللّتِ مَهدُ ناعمُ الفيْءِ، باسمِ الضَّوءِ، عاطرْ

يتلقَّاكَ في خشوعٍ ويُضفي حِبَرَ الزَّهْر في خُطاكَ الطَّواهرْ!

سِرْتَ للدَّلْجمون(1) عَجْلانَ: ماذا ضَرَّ يارَبِّ لو تأنَّى المسافرْ!

نَصَلتْ خلفكَ القلوبُ حَيارَى واجفاتٍ تحت الضُّلوع مَوائرْ

لو وَنَى الدَّمعُ عن صداها تلظَّتْ جَمَراتٍ مُلَذِّعاتٍ سَواعرْ

كنتَ تسري والناسُ حوْلكَ سيْلٌ جارفٌ في الشِّعاب كالموج هادرْ

خيلَ تَسْيارُهُم وراءكَ نُسَّا كاً تَرامَوْا على حَواشي المنابرْ

أقلقوا مسمع الأصيل صُراخاً ونحيباً وفزَّعوا كلَّ عابرْ

أخذُوا إخْذةَ المؤمِّل دَكَّتْ صَرْحَ آماله الجدودُ العواثرْ

كلَّما رنَّ خافقٌ من صَداهُمْ لَطَمتْ خدَّها كِرامُ الحرائرْ!

أطْرَقَ السُّنْبلُ الحزينُ وجُنَّتْ من أسَى خَطْبكَ الطيورُ العوابرْ

حَسِبَتْ نعشَكَ المطهَّرَ طيْراً لِلجنان الفِساح في الخُلْدِ سائرْ

---

(1) الوطن الأول للفقيد وقد شيِّع إليه نعشه ودفن به.

فتسامتْ في الجوّ صوْبك غيْرَى   تتهدَّى العُلا بأقدس طائرْ
وَوَصلتَ الضِّفافَ من لُجَّة المو   تِ ، وكلٌّ لِشطِّها بَعْدَ صائرْ
لا تَنالُ الشُّقوق تُعْصَمُ مِنْها   لا ولا في الْبُروج صيدُ القياصرْ
هيَ أسْطُورةُ الزّمان ، ولُغْزٌ   من يُرِدْ حَلَّهُ فلا بُدَّ خاسرْ !
ورَجعْنا خُرْسَ البيان! فِصاحَ الدَّمْـــعِ ؛ صُمَّ القلوب ! عُمْيَ النواظرْ
كُتَلٌ من جوارحٍ تَتنزَّى   كهشيمٍ من الْبِلَى متطايِرْ
من يَشأْ سُؤْلنا نطقْنا دُموعاً   وجَوابُ الحزين ذَوْبُ المحاجرْ!
سَلْ شُحوبَ المساء، كيف احتوانا   في جَحيمٍ من التأَوُّه ساعرْ
لو نُسِخْنا به لَكُنَّا رياحاً   صافراتٍ على مُتون الْهَواجرْ
شرَّدَ اللّيْلُ نوْحَنا في حَواشيـــهِ، وَقلْبُ الدجَى سَريرةُ كافرْ!...

العُـــزْلَة !

اتْرُكُوني وعُزْلَتي يا بَني الطِّيـــنِ فَإِنِّي عَلَى حِماكُمْ غريبُ !
أنا في صَمْتِها صَلاةٌ . . فخفُّوا   وَاهْجُروا أَرْضَها فأنتمْ ذُنوبُ
وَاتْركوني بظلّها أتغنَّى   فغِنائي لِمَا جرَحْتُمْ طَبيبُ
أنتمُ الْهَمُّ في دَمي ! وهِي الفرْـــحةُ،والصَّفوُ،والمُنَى،وَالحبيبُ

هكذا قالت دودة القبر !

أنا في ظُلمـــة قبْري أرْتَوِي من كلِّ خمرِ ..
من رُضابٍ في شفاهِ الْـــغيدِ ، كم أشقَى بسِحْرِ !
وَسرابٍ في جبـــاهِ الصِّـــيدِ ، كم أغرَى بكبْرِ !
كم مُلوكٍ دَانَتْ الدُّنـــياَ لهم ، ذَلُّوا لأمْري
وَعُروشٍ رَصعتْ تيـــجانَهـــا حَلْياً لِصخْري
وَسوْسَاتُ الدُّرِّ فيهـــا كُنَّ أنغامي وشِعري ..
لىَ يا ابْنَ الطِّينِ مُلْكٌ في الْبِلَى لوْ كُنتَ تَدْري
صوْلَجَانُ الدَّهرِ عندِي وَزْنُهُ مثقـــالُ ذَرِّ
تَظمأُ الدُّنيـــا فتَمضي تَسْتقَى منْ كلِّ بَحرِ ..
لا يُرويِّهـــا ، ولا يُطْـــفِي صَداها غيرُ نَهرِي
شاطِئهِ مهَّدْتُ لِلنِّسْـــيانِ فيـــه كُلَّ عصْرِ
أقلَقَ الأزمَانَ فيهِ الْـــمَوْجَ منْ بَرٍّ لِبَرِّ
فانْزَوَتْ في الْقبرْ حِيناً ثُمَّ نامَتْ تحت صدْرِي !

هكذا قالت البغيُّ ..

وَاسِ يادهرُ ! وكفكف من صروفي — وَأَعِنِّي !
طالَ بالعارِ عَلَى الدُّنيا وُقوفي — لا تلمني !
وخبت من خزيها تحتَ شفوفي — نارُ حزني !
مَا الذي في زلَّةِ الجسمِ الضَّعيفِ — كانَ مِنِّي ؟
بعتُ عِرضي - يَا إلهي - برغيفٍ — فَاعفُ عَنِّي !

* * *

قيلَ : إنَّ الرِّقَّ قد ذابتْ قيودُهُ — وَتصَرَّمْ !
كَذَبوا .. هذا على جسمي حَديدُهْ — يَتضَرَّمْ !
كلَّما هلَّتْ على رجسي وُفودُهُ — تتنَمَّمْ !
غاصَ بِي في الشَّهْوةِ الدُّنيا عَبيدُهْ .. — رَبِّ فارْحَمْ !
وَأنَا ... كالْعودِ يُشْجيهمْ نَشيدُهْ — وَهْوَ مُلْجَمْ !

* * *

سَاقِي الْقُوتُ ، وَسَاقَتْكُمْ إِلَيَّ — شَهَوَاتُ !
جَذَبَتْكُمْ لِلْهَوَى مِن شَفَتَيَّ — جَمَرَاتُ ؛
أَزْهَرَتْ حُمْرَتُهَا من رِئَتَيَّ — زَفَرَاتُ !
هِيَ فِي شَرْعِكُمُ الْجَانِي عَلَيَّ — صَبَوَاتُ ؛
وَهْيَ لَحْنُ الزَّادِ غَنَّتْهُ لَدَيَّ — قُبُلَاتُ !

* * *

فِي سَبِيلِ العَيْشِ يَا شَرْعَ التُّرَابِ — مَا أُكَابِدْ !
حَرَّمَ اللهُ . . وَحَلَّلْتُمْ . . شَبَابِي — لِلْمَفَاسِدْ !
وَارْتَجَلْتُمْ شِرْعَةً سَوَّتْ خَرَابِي — بِالْمَعَابِدْ :
فِي زِحَامِ الْإِثْمِ ، لَا يَطْرُدُ بَابِي — أَيَّ قَاصِدْ !
لَا . . وَلَا يُغْضِي حَيَاءً من عَذَابِي — طَرْفُ زَاهِدْ . .

* * *

أَيُّ شَرْعٍ قَالَ : فِي الْقَيْدِ اُسْلُكُوهَا . . — لِلْفُجُورِ ؟
وَإِلَى سِجْنِ الْمَوَاخِيرِ ابْعَثُوهَا . . — لَا الْخُدُورِ ؟
أَلِأَنِّي كُنْتُ أُنْثَى خَدَعُوهَا — بِالسُّفُورِ !
حِينَمَا الْعِفَّةُ هَاجَتْ . . أَغْرَقُوهَا — فِي الْخُمُورِ . .

لَيْتَهُمْ — لما أَفَاقَتْ — شَيَّعُوهَا — لِلْقُبُـــورِ !!

* * *

أنَا رَيْحَـــانَةُ عارٍ قد رَوَاهَا — إِثْمُ أَرْضِي
بعدَ ما لَوَّثَ جانِبَيْهَا شَذَاهَا — راحَ يُغْضِي
نَجْمَةٌ كم أَسْكَرَ الكَوْنَ سَنَاهَا — ماتَ وَمْضِي
هكذا الدُّنيا على الدُّنيا هَوَاهَا — رَاحَ يقضِي ..
حُرَّةٌ باللُّقمةِ العفْراء — وَاهًا !! — بِعْتُ عِرْضِي !!

بُحَيْرَةُ النِّسْيَانِ !!

رفْرفَتْ في دَمي اوَرَفَّتْ على الرُّو ... حِ! وَذَابَتْ ... بُحَيْرَةُ النِّسْيانِ
عِنْدَهَا قَدْ نَسِيتُ ذَاتي ، وَحِسِّي ... وَزَمانِي ، وَعِبْأَهُ ، وَمَكَانِي
ونَسِيتُ النِّسْيانَ .. حتى كأني ... هَجْسَةٌ في خَوَاطِرِ الأكْفانِ
فاحضُنِي يابُحَيْرَتي زَوْرَقَ الرُّو ... حِ،وغِيبِي عَنْ ضَجَّةِ الأَكْوانِ..

أنتِ ديرُ الهوى، وشعري صلاةٌ ...

« إلى غمامتي الشاردة ... أهدي هذه الصلاة ! »

أقبلي كالصلاةِ رقرقها النسـ ـكُ بمحرابِ عابدٍ متبتِّلْ
أقبلي آيةً من الله عُلْيا زفَّها للفنون وحيٌ منزَّلْ
أقبلي فالجراحُ ظماءى! وكأسُ الـ ـحبِّ ثكلى! والشعرُ ناي معطَّلْ
أنتِ لحنٌ على فمِ عبقريٍّ وأنا في حدائق الله بلبلْ
أقبلي .. قبل أنْ تميلَ بنا الريـ ـحُ! ويهوى بنا الفناءُ المعجَّل
زورقي في الوجود حيرانُ شاكٍ مثقلٌ بالأسى، شريدٌ، مضلَّلْ
ازعجته الرياحُ، واغتاله الليـ ـل بجُنحٍ من الدياجير مُسبَلْ
فهْوَ في ثورةِ الخضمِّ غريبٌ خلَطَ النَّوْحَ بالمنى وتنقَّلْ
أقبلي ياغرامَ روحي! فالشطُّ (م) بعيدٌ! والروح باليأس مثقل
وغمامُ الحياةِ أغشى سوادي (م) ونورُ المنى بقلبي، ترحَّلْ
أنا ميْتٌ تغافلَ القبرُ عنِّي وهوَ لوْ درى شقوتي ما تمهَّلْ

فاسكُبى لى السَّنا، وطُوفى بنعشى ينعشُ الرُّوحَ سِحرُكِ المتهلِّلْ
أنتِ نبعى، وأيكتى، وظلالى وَخميلى، وجدولى المتسلسِلْ
أنتِ لى واحةٌ أفىء إليها وَهجيرُ الأسَى بجنبىَّ مشعلْ
أنتِ ترنيمةُ الهدوء بشعرى وأنا الشاعر الحزينُ المبلبَلْ
أنتِ تهويدةُ الخيال لأحزا — نى، بأطياف نورها أتعلَّلْ
أنتِ كأسى، وكَرْمتى وَمُدامى والطلا من يديكِ سُكْرٌ محلَّلْ
أنتِ فجرى على الحقول.. حياةٌ وصلاةٌ، ونشوةٌ، وتهلَّلْ
أنتِ تغريدةُ الخلود بألحا — نى.. وشعرُ الحياة لغوٌ مهلهلْ
أنتِ طيفُ الغيوب رفرفَ بالرَّحْـــمةِ والطُّهر والهُدى والتَّبتُّلْ
أنتِ لى توبةٌ إذا زلَّ عمرى وصحا الإثمُ فى دمى وتململْ
أنتِ لى رحمةٌ براها شعاعٌ هلَّ من أعين السَّما وتنزَّلْ
أنتِ لى زهرةٌ على شاطئ الأحْـــلام تروَى بمهجتى وتُظلَّلْ
أنتِ شعرُ الأنسام وسوسةُ الفجْـــرِ، وذابتْ على حفيفِ السُّنبلْ
أنتِ سحرُ الغروب، بل موجةُ الإشْـــراق عن سحرها جنانىَ يسألْ
أنتِ صفوُ الظلال تسبحُ فى النَّهْـــرِ وتلهو على ضفاف الجدولْ
أنتِ عيدُ الأطيار فوق الروابى.. أقبلى! فالرَّبيعُ للطيرِ أقبلْ..

أنتِ هَوْلى،وحَيْرتى،وَجنونى ... يومَ للحُسنِ زَهْوةٌ وتُدَلُّلْ
أنتِ دَيْرُالهوَى وَشِعْرى صَلاةٌ ... لكِ طابتْ ضَراعتى والتَّذَلُّلْ
أنتِ نَبْعٌ من الْحنانِ، عليهِ ... أطرَقَ الفنُّ ضارعاً يتوسَّلْ
أعينٌ للخُشوعِ تَغْرى، تَخالَيـ ... ـها على لوعَتى تفضٌّ وتَسْبَلْ
واترُكيها وسحْرَها يتمادَى ... عَلَّما(١) «بابلٌ» بنَجْواهُ تُشغَلْ!
هو فَنِّى، وَمَلْهى.. فابعَثيهِ ... فهْوَ من زَهْوِهِ شحيحٌ مُبخَّلْ
يتغافَى على الْجفون، فإنْ رُحْـ ... ـتُ أناجيهِ لَجَّ فى الكَرَى وتوَغَّلْ
وانتشَى من سناكِ وانسابَ فى لَحْـ ... ـظِك يحْسو الضِّياءَ منهُ وينْهَلْ
وانبَرَى من جفُونك البيضِ كالأقْـ ... ـدار يُرْدِى كما يَشاءُ ويقتلْ
لَيْتَ لى من صِراعِهِ كُلَّ يومٍ ... غزْوةً فى سكون قلبى تجَلجَلْ!
وَلكِ الصوتُ ناغِمٌ إعادهُ الشَّوْ ... قُ فأضحَى حنينُهُ يترَسَّلْ
نَبَراتٌ كأنَّها شَجَنُ الأَوْ ... تَارِ فى عَودِ عاشقٍ مُترحِّلْ
أو حفيفُ الأذانِ فى مسْمعِ الفَجْـ ... ـرِ ندِىُّ الصَّدَى، شذِىُّ المَنْهلْ
أو غِناءُ الظِّلالِ فى خاطِرِ الغُدْ ... رانِ شِعْرٌ فى الصَّمْتِ عانٍ مكبَّلْ
أو نشيدٌ أذابَهُ الأُفُقُ النَّا ... ئى، وغَنَّاهُ خاطرى المُتأمِّلْ!

---

(١) لعلّما.

ولكِ البَسْمَةُ الوَديعةُ .. طُهْرٌ وصَفاءٌ ، وصَبْوَةٌ ، وتَغَزُّلْ
لَذَّةُ الهَمْسِ في دَمِي تَنقلُ الرُّو ـ حَ لِوادٍ بِصفْوِ عُمْرِي مُظَلَّلْ
فاسكُبيها على جَناني ، وخَلِّي سِحرَها في مشاعري يَتهدَّلْ !
ولَكِ الهَدْأَةُ التي تغمُرُ الْحِـ ـسَّ فيَرْوَى من السكونِ وَيثْمَلْ
وَاحَةٌ للْجَمال ، قلْبِيَ فيها من أَسَى الدَّهرِ ناسِكٌ مُتعَزِّلْ
عَلَّمَتْنِي ظِلالُها كَيْفَ أَنْسَى صَخَبَ الهمِّ وهو عَصْفٌ مُزَلزِلْ
وَلَكِ العِفَّةُ التي عادَ مِنْها «مَرْيَمِيٌّ» السُّتُورِ فَوقَكِ مُسْبَلْ
وَلَكِ الْحُبُّ . ساعِدِي في وغَى الْـ ـأَيَّامِ ، والقَلْبُ وَهنانُ أَعزَلْ !
فتعالَيْ نَغيبُ عن ضَجَّةِ الدُّنْـ ـيا ، وَنَمْضِي عَن الوجُودِ ونَرْحَلْ
وَإلى عُشِّنا الجميل .. ففيهِ هَزَجٌ للْهَوَى ، وظلٌّ ، وسَلْسَلْ
وَعَصافيرُ للمُنَى تَتَغَنَّى بالتَّرانيم بينَ عُشْبٍ وجَدْوَلْ
وَغَرامٌ مُقَدَّسٌ ، كاد يَضْوِي نُورُهُ العذْبُ في سَمانا وَيُشْعَلْ
وَوَفاءٌ يكاد يَسْطَعُ للدُّنْـ ـيا بِشَرْعٍ إلى المُحِبِّين مُرسَلْ ..
عادَ للعُشِّ كُلُّ طَيرٍ ، ولم يَبْـ ـقَ سِوَى طائرٍ شَريدٍ مُخَبَّلْ ..
هو قلْبِي الذي تَناسَيْتِ بَلْوَا ـ هُ .. فأَضْحَى عَلَى الجِراحِ يُوَلْوِلْ !
أَقبِلي .. قَبْلَ أَنْ تَميلَ بِهِ الرِّيـ ـحُ ، ويَهوِي به الفَناءُ المُعَجَّلْ !

[١] سُنبلةٌ تحتضر . .

كانَ لى عرشٌ على الرَّبـــوةِ مَمْدودُ الظِّلالِ
تَهْجعُ الشَّمْسُ إذا هَدَّأتْ بهِ فَوقَ التِّلالِ
وَالضُّحَى يَخْشَعُ ، والآصالُ تَجثُو ، واللَّيالى . .
عابداتٍ ، ساجداتٍ فى ثرَى النِّيلِ حيالى !

* * *

يا فَراشاتِ الضُّحَى وَاسْـألْنَ عنهُ فى الْكَثيبِ ،
كيْفَ وَلى . . وَتوارَتْ شَمْسُهُ خَلْفَ المَغيبِ ؟
وَطوَتْ أحلامَهُ الخضْـراءَ أشْجانُ الْغُروبِ ،
وَعرَتْهُ شيْبةَ الأكْـفانِ فى قبرِ الغَريبِ !

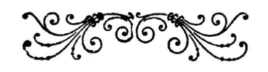
* * *

كانَ لِلرَّاعى به شَدْوٌ ، ولِلنَّخْـلَ تغَنِّى
ولِفلاَّحِى به . . وَيلاهُ ! فَنٌّ أىُّ فَنِّ . .
قَبْلَ أن تَصْحُوَ شَمْسِى فى الرُّبى يُوقظُ جفْنِى
وَيغَـنِّى . . . فيُساقِيـنى الهوَى من كُلِّ لَحْنِ !

وَإِذا تُرْمِضُه فى الحـــقْلِ أنفاسُ الهَجيرِ
يَنْثنى تَحْتَ ظِلالى غافِيًا مِثْلَ الطُّيورِ
حُلْمُهُ : سُنْبُلَةٌ تَرْ — قُصُ فى شَطِّ الْغديرِ
فإِذا اسْتَيْقَظَ صاحَتْ فى الرُّبى : حانَ مَصيرى!

* * *

وَإِلى أَيْنَ سَيَمْضى نَعْشُ عُودى وَيسيرُ؟
إِنَّ مَوْتى لَوْدَرى الإِنـــسانُ بَعْثٌ ونُشورُ
فَاسْأَلوا «المِنْجَلَ» عَنِّى فَهْوَ بالسِّرِّ خَبيرُ
وَاسْأَلوا «النَّوْرَجَ» يُنْبِيــــكُمْ بِحَدَّيهِ المَصيرُ!



[٢] ... هكذا قال «النورج»!

تحت حدّى قصة السنبل يرويها الفناء:
غرسةٌ صلّى لها الصبح، وحيّاها المساء
واحتسى خمر هواها في الضحى ظلٌّ وماء
وانتشى من سحرها طير الربى والشعراء..
ملعبٌ دنياه أعراسٌ، ورقصٌ، وغناء
هلّل الكوخ عليه وتناجى البؤساء..
ثم دار الدهر حيناً.. فمشى فيه العفاء!

* * *

«غرسةٌ صلّى لها الصبح وحيّاها المساء»
عانقت حدّى.. وقالت: أنا للكون فداء!
هات لي الموت.. فنعشى لبني الدنيا غذاءُ...

ويعيش أحرار العقول بظلها غرباء ..

« .. فى تأبين المرحوم «أمين لطفى» بمسرح حديقة الأزبكية يوم ١٤ فبراير عام ١٩٣٦ . »

وَتَرٌ على شَطِّ المنيَّة غافى — شَلَّتْ عليه أناملُ العَزَّافِ

ماتت أغانى الرُّوح فوق مِهادِهِ — وذوت رُؤَى الأشباح والأطيافِ

يامَنْ عشقت نشيدَهُ مُتَسَلْسلاً — من هائجٍ صَخِبٍ، ومن هَفَّافِ

إنْ كنتَ ذا حَدَبٍ عليه ورحمةٍ — مزِّقْ بقلبكَ سِتْرَ كلِّ شغافِ

قد كانَ مُلْهِمُهُ الحبيبَ مُنَغِّماً — فى زَوْرَقٍ حولَ الضُّحَى طوَّافِ

مَلاَّحُهُ مَلَكٌ يقودُ زِمامَهُ — فى هالةٍ من نُورِهِ الرَّفَّافِ

يَسْرِى بِهِ والطُّهْرُ مدَّ شِراعَهُ — لجلالِ مرْفأةٍ وقُدْسِ ضِفافِ

فى جَوْقَةِ النُّوتِىِّ أيقظ روحَه — شَجَنُ المساءِ بِهَمْسَةِ الزَّفْزَافِ

فشدا ورنَّمَ والطُّيورُ حِيالَه — خُرْسُ الحَناجِرِ هُجَّعُ الأطرافِ

تُصْغى له نَشْوَى كأنَّ هُتافَهُ — زَفُّ الصَّدَى لقوادِمٍ وخَوافى

وهَبَتْ له مِزْمارَها فأعارَهُ — لَحْنَ الضحى وقصيدةَ المِجْدافِ

والیمُّ صدیانُ الحشا متلهِّفٌ ... ظمأً لشدْو السّابح الهتّافِ
والكونُ أشیبُ خدّرته نفاثةٌ ... هاجتْ بها ذِكرٌ لدیْه خوافی
یا منْ رأى الدُّنیا تحارُ سفینةً ... تجْری على نور الصّباح الضّافی!
وأتى المساء لحظِّها متجهِّماً ... یطوی السّنا بحوالك الأسْداف
دجوانَ مصطخبَ الرِّیاح تنوحُ فی ... قلْب الدُّجی بالزّعْزع القصّافِ
فتهافتَ الملاّحُ یطلبُ نجْوةً ... من یمِّه المتوثِّب الرّجّافِ
سبق الرّدى لك یامؤمِّل خُلْده ... وطحا به الریح العتیُّ السّافی!

. . . .

سلْ عنه فی یوم[1] «استفانو» موْقفاً ... خلُدتْ الوقوفَ به على الأعرافِ
كفٌّ مطهّرةٌ تصافحُ أختَها ... فیقالُ: آثمةٌ ! منَ الأجحافِ
وتروحُ كفُّ الظّلْم تبْسُطُ خمْسها ... نقماً.. وتسْرفُ أیّما إسْرافِ
والله یشْهدُ أنها ما استأثمتْ ... یوْماً ویشْهدُ ساحلُ المصْطافِ
عُذْریّةٌ مدّتْ أناملها هوًى ... ومحبّةً تهفو لخِلٍّ وافِ
فیحوطُها الشكُّ الأثیمُ وینبری ... لعقابها اللاّحی بلا إنْصافِ

---

(۱) فی عهد سیاسی غاشم . . . صافح الفقید صدیقه الوفی معالی النقراشی باشا «بكازینوسان استفانو» بالاسكندریة ، فلقی من الحكومة حینئذ كل عنت واضطهاد.

وهيَ التي لوْ لامسَتْ قَلْبَ الصَّفا ... لأذاعَ عِطْرَ الرَّوحِ لِلمُسْتافِ..

وَعَقيدةً كادتْ تُضيءُ قَداسةً ... إنْ غالَ صُبْحَ القَوْمِ لَيْلُ خِلافِ

إنْ عاشَ فيها المُسْتَضامُ فَراهةً ... فهْوَ الذي يَرْضى بعيْشِ كَفافِ

شرَفُ الجهادِ عقيدةٌ لم يغْوِها ... بَهَجُ الحُلِيِّ وبَهْرَجُ الأفوافِ

يا أمَّةً يُسْقى المُداهِنُ بينها ... شَهْدَ المُنى، والحُرُّ كأسَ ذُعافِ

ويعيشُ أحْرارُ العقولِ بِظِلِّها ... غُرَباءَ، من عَنَتِ الزَّمانِ الجافي!

أفَمَنْ يَظَلُّ على المبادىءِ ثابتاً ... قَذَّفْتِهِ في البُؤْسِ شَرَّ قِذافِ

ودفنتِ في وَضَرِ الجُحُودِ ضياءَهُ ... دَفْنَ الثَّرى للجَوْهَرِ الشَّفّافِ!

ماذا عليكِ إذا سَقَيْتِ غِراسَهُ ... حَيّاً، وقدْ أولاكِ عَذْبَ قِطافِ؟

كَرَّمْتِهِ بعدَ المماتِ، وَمَنْ سوى ... كَفَيْكِ زَفَّ الموْتَ أيَّ زِفافِ!

قَدْ كانَ في الصَّمْتِ المجاهدِ آيةً ... أعْيَتْ سَرائِرُها حِجا الوُصّافِ

نارٌ تَئِزُّ بجَدْوَلٍ مُتَرَقْرِقٍ ... ولَظًى يشُبُّ بزَنْبَقٍ رَفْرافِ

وذُبالةٌ تُذْكي الفَناءَ لعُمْرِها ... وخُيوطُها بالنورِ جِدُّ ضَوافي

هو ذا الجهادُ فلا تَقُلْ بُوقَ اللّهى ... يَهْذي بَطنْطَنةٍ ورَجْفِ هُتافِ

كم حِكْمةٍ صرَخَتْ بمنطِقِ شاعرٍ ... ونَصيبُهُ منها خَيالُ خُرافي!

الى ضمير الانسانية ..

زَفْرَةٌ على « فلسطين » الدَّامية !!

« ... وإلى ريح « التَّاميز » العاتية !! »

صَوْتٌ بأَرْض «القُدْس» مُشْتَعِلُ الصدَى
كادَتْ له الأَكبادُ أنْ تَتَوَقَّدَا

لمَّا تَأَوَّهَ صارخاً بينَ الوَرَى أَسْيانَ يُرْزَمُ تحْتَ نيرانِ العِدا ،
جَزِعَ «المَسِيحُ» لهُ ولَوْلا طُهْرُهُ ما مَدَّ للرَّحماتِ كَفًّا أوْ يَدا !
رُهْبانُهُ في الغَرْب .. مَنْبَعُ حِكْمَةٍ ما أَغْلَقَتْ يوماً لِمُلْتَمِسِ الهُدَى
رَشَفُوا منَ « الإِنجيل » فَيْضَ رَشادِهِ
وتَخَشَّعوا حَوْلَ الهيا كِلِ سُجَّدا
وشَدَوْا بِمَلْحَمَةِ السَّلام ، ورنَّمُوا
مَزْمُورَهُ لِلْكَوْنِ خلَّابَ الصَّدَى ..
لَكِنَّ شَعْبَهُمُ أثارَ عَجاجَةً في الشَّرْقِ طافِحَةً بأهوالِ الرَّدَى
فإذا التَّعاليمُ التي هَتَفُوا بِهَا
من سَوْرَةِ الأَطْماعِ قد ضاعَتْ سُدَى !
وإذا بِلَحْنِ السِّلْمِ بينَ شِفاهِهِمْ عصفَتْ بِهِ شهواتُهُمْ فتبدَّدا !

تخذوا الرصاص شريعة قدسية ... وقذائف الأرواح نهجاً مرشدا
لم يرهبوا التاريخ في استعمارهم ... أني سطوا أو كرّوه.. أروع سيّدا
لطموه في القدس المحرّم لطمة ... كادت لها الأجبال أن تتهدهدا
مهد الشرائع من قديم.. ماله ... أضحى لأحرار البريّة موقدا
في كل مرتبع به، وحنيّة ... تلقى صريعاً في التراب ممدّدا

هانت على البطل المجاهد نفسه
فسعى لحوض الموت يطلب موردا
ألقى إلى اللهب المسعّر روحه..
وكذا يكون الحرّ في يوم الفدا!!
الله في وطن النبوّة!! نال من
شره الطغاة اليوم حظّاً أنكدا:

الفتنة الشعواء هاجت قلبه ... لم تبق فيه كنيسة أو مسجدا!

شرعت من الرقّ البغيض سلاحها
تتفزّع الأقـــدار إمّا جرّدا
صرخ الضعيف شكاية من هولها
فمحى اللهيب صراخه فتشرّدا

فتخاله والصدرُ ينفث نارهُ

مِنْ كلِّ زافرةٍ تُريقُ الأكبُدا ،

حَملاً يدُ الجزار دقّتْ عُمْرَهُ فقضى بصرختِه على حدِّ المدى!

مِحَنٌ مُرزِّئةٌ! ومَوتٌ عاصفٌ لم يُبقِ شيخاً فى الحمى أو أمردا

يارُبَّ وادٍ فى الصباحِ مُنضَّرٍ غَيْسانَ باكرَهُ السَّنا فتأوَّدا

لمَّا دهتْهُ الحادِثاتُ صُحيَّةً وسَرَى دُخانُ الموتِ أقتمَ أربَدا،

نَفَضَت خمائلهُ شَبيبةَ عمرِها وتَصاوحَتْ فغدَتْ مَحيلاً أجرَدا

ما ذَنْبُها ؟! ما ذَنْبُ صَيْدَحِها الذى

قد كانَ يَسْجَعُ فى الظّلائلِ مُنْشِدا ؟!

خُنِقَتْ مَزاهِرُهُ ! ومات نشيدُهُ !

ونأَى عن الوطَنِ الحبيب وأُفْرِدا !

لَوْلاَ هِياجُ الحِرْدِيسِ مِهادَهُ لثوَى بِجَنَّتِهِ وظلَّ مُغرِّدا !

* * *

يا يَوْمَ «بَلْفُورٍ» وشُؤْمُكَ خالِدٌ ماضَرَّ لوْ أخْلَفْتَ هذا الموْعِدا؟!

عاهَدَتْ أعْزالَ الجسومِ ، سلاحُهُم

ما كانَ إلا الحقُّ صاحَ مُقيَّدا

وتركتهم رهن المطامع تبتغي ... منهم على حر المواطن أعبدا!
ثاروا بأرض الله ثورة عاجز ... سمع القوي شكاته فتوعدا
هاجوا على الأصفاد هيجة ناسك ... زجمته آثام الصبا فتمردا
هجمت على الغار المطهر في الدجى ... فأثار عزلته، وهاج المعبدا..
ضجوا على «نابلس»(١) حتى كاد من ... صخب الأسى والحزن أن يتنهدا
عجباً! يكاد الصخر يدمع رحمة ... لهم! وقلب الآدمي تصلدا!
ومعالم الإسلام بين ربوعهم ... كادت تزمجر لهفة وتوجدا
بسطت إلى قدم النزيل رحابها ... فبغى على قسماتها وتهددا
وهو الذي لولا نعيم ظلالها ... لمضى على كنف الوجود مشردا!

* * *

والشرق؟ ويح الشرق! نام أسوده ... عن ثائر في القدس ضج وأرعدا
شلت عزائمهم! ونام جهادهم! ... وتصرعوا في كل مهد هجدا!!

---

(١) جبل بفلسطين.

جيلكم مات .. فدسوا نعشه !

« ياوطنى ! لا أملك غير هذا القلم ، أنفث منه ثورتى الصامتة على جيلك ... وهو فى غمرة التطاحن الحزبى لا يكاد يفيق !! »

جيلكم شابَ .. فوارُوا ضعفَه　　واحرقوه بلظى الدم الجديدْ
كفِّنوهُ مِنْ بلى أيامِهِ　　وادفِنوه فى ثرى الماضى البعيدْ
واذهبوا لاتندُبوهُ للوجودْ !

هُوَ جيلٌ لعِبَ القيدُ بهِ　　مُنذُ مارَنَّ على أرضِ الحِمى
فاصفعوهُ ! واحطِموا أصفادهُ　　وافرعوا بالعزمِ أبراجَ السَّما
شرعةُ الأغلالِ جاءتْ للعبيدْ !

أمُّكُمْ (مِصرُ) وفى تاريخها　　مايَرُدُّ الغربَ نديانَ الجبينْ
فاسألوها .. واسمعوا فى تُربِها　　يُزعِجُ الآفاقَ صوتُ الرَّاقدِينْ
مِن هُنا تسطعُ أنوارُ الخلودْ !

جيلكم ماتَ .. فدُسُّوا نعشَه　　فهوعارٌ فى ضميرِ الزَّمنِ
مزَّقت قلبَ الحِمى أطماعهُ　　فارجُموه ، ياشبابَ الوطنِ
ولأحزابِ الحِمى شقُّوا اللُّحودْ !

السِّياساتُ كَلامٌ وَصَدًى   وَزَعاماتٌ،وَخُلفٌ، وخِصامُ
وَالْـكَراسِيُّ إذا أَبْصَرْتَها   مَوْرِدٌ أَقْلَقَ شَطَّيْهِ الزِّحامُ
فَهْىَ تَنْعَى من أَساها وَتَميدْ!

فانْهَضُوا،فالْعَصرُوَثّابُ الخُطا   وَلكُم مِنْ عَرْشكمْ أَعلى مَثَلْ
مَلِكٌ يَطْمَحُ لَوْ نالَ السُّهَا   وتَخَطَّاها وأَسْرَى بالأَمَلْ
وَعَلا بالنِّيل فى هامِ الوُجُودْ!!



هكذا أُغَنِّي

إنْ تَسَلْ فى الشِّعْرِ عَنِّي.. هكذا كُنْتُ أُغَنِّي !
لا أُبالي أَشَجَى سَمْعَكَ أَمْ لَمْ يُشْجِ لَحْني !
هوَ منْ رُوحي لرُوحي صَلواتٌ ، وَتَغَنِّي
وَهْوَ منْ قَلْبي يَنابيعُ بها يَهْدِرُ فَنِّي
الأَسَى فيها تَعاليلُ ، وَلليَأْسِ تَمَنِّي
وَهْوَ إحْساسي الذي يَنْسابُ كالْجَدْوَلِ مِنِّي
وَاثِبٌ كالطَّيْرِ فى الأَظْلالِ منْ غُصْنٍ لِغُصْنِ
ذاهِلٌ كالْوَتَرِ المَهْجورِ فى عُودِ المُغَنِّي
سَاهِمُ الأَنْفاسِ حيْرانُ .. أَيَبْكي أَمْ يُغَنِّي؟
لَمْ يُصِبْ من دهرِهِ غيْرَ جُحُودٍ وَتَجَنِّي
فانْبرَى يَعْصِفُ فى دُنْياهُ بالشَّدْوِ المُرِنّ
زاجِلاً تُذْكي صَداهُ نارُ أَيَّامي وحُزْني
إنْ تُرِدْ مِنْهُ سُلُوّاً عن أَساهُ .. فامْضِ عَنِّي

هكَذا يخفُق نابي | بينَ إلهـــامى وبيْنى
يُلْهِمُ اللهُ . . . فيَمضى | وَتَرُ الرُّوحِ يغَـنّى
فسواءٌ رُحْـتَ تَمضى | لائمًا . . أو رُحتَ تُثْـنى
مِزهَرى نشوانُ لا تُو | قِظُهُ ضَجَّةُ كَوْنى !
مَذهَبي ؟ لا مَذهبَ اليَـــومَ سِوَى أصداءِ لَحْـنى
وَلهَـا الخُلدُ ! ولى فى | ظِلِّهـا سِحْرُ التَّغَنِّى
هِى خَمْرى ! وهْىَ حانى ! | وهْىَ أعنَـابِى وَدَنِّى
قد وَهبْتُ الفَنَّ عمرى | وَوَهبْتُ الشَّرْقَ فنِّى
فَلْيَـلُم من شاءَ . . إنّى | راسِخٌ كالطَّوْد جِنِّى
فإذا رَقَّ . . فقُلْ : يا | قُبْلَةَ الأسحار غَنِّى !
وإذا هاجَ . . . فهَوْلٌ | ساقَهُ موْكِبُ جِنٍّ !
«إن تَسلْ فى الشِّعْر عنِّى | هكذا كُنْتُ أغَنِّى !»
إنْ تَشأْ فاسمَعْ نشيدى . . | أوْ تَشأْ فارْحَلْ ودَعْنى !
وإذا أشجاكَ هَمْسٌ | من صَدَاهُ . . لا تَلُمْـنى !
ما أنا إلاّ كَـظِلٍّ | لِشُعورى . . فاعْفُ عنِّى !

محمود حسن اسماعيل

فهـــــرس

تصويب

« يرى القارىء بهذا الديوان نثاراً من الخطأ المطبعي ، أتينا في الاستدراك التالي على أهمه . . . والكمال لله وحده ! »

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٨	٣	وأرفلى	وارفلى	٣٣	٢	خلهَ	خَيْلَةَ
٩	٤	محيِّر	محيَّر	٤٣	٨	شعراتْ	شعْراتُ
١٠	٥	يمثـل	بمثـل	٦٨	٣	يأسو	تأسو
١٧	٧	خطرْتِ	خطرْتَ	٨٩	٥	... إسلامه	ومن إسلامه
٢٠	٥	قسهم	وقسيهم	٩١	٤	كلها	كلمَا
٢٠	٦	الدهرَ	الدهرِ	٩١	٧	الحجارةُ	الحجارةِ
٢٢	١	المجدَ نشَّر	المجدِ نُشِّر	٩٥	٦	ومساح	ومسابح
٢٣	٦	حوم	حَرَمٌ	١٠١	٧	شاب	ولا شاب
٢٤	١	النبيَّ	النبيِّ	١١٣	٥	رشفن	ورشفْنَ
٢٤	٢	والطيرُ	والطيرِ	١١٣	٤	غزل المروج	غزل في المروج
٢٤	٣	فاطرِب	فاطرَبْ	١٣٦	٧	الحدثان	والحدثان
٢٧	١	الجذَع	الجذْع	١٣٧	٤	روعهُ	رَوْعةِ
٣٢	٦	بعدَ طال	بعد ما طال	١٧٧	٤	سابح	سابحٌ
٣٢	٧	الأنين	الأنينُ	٢٠٤	٧	البغّى	البَغْيَ



أغانى الكوخ

الطبعة الاولى فى يناير ١٩٣٥

الثمن ١٥ قرشا



م. الاعتماد بمصر

١ يوليه عام ١٩٣٨